الشعائر الحسينية

بحوث مختارة من كتاب المصيبة الراتبة



الدكتور الشيخ محمد جمعة بادي



بحوث مختارة من كتاب المصيبة الراتبة

الدكتور الشيخ محمد جمعة بادي



الإهداء

..

بين يدي ..

بابِ الحوائج ..

حامي الجار ..

فقيه أهل البيت عليهم السلام ..

فارس كربلاء المدّخر ..

ساقي العطاشى ..

حامل اللواء ..

عين شهداء الطف ..

..

سيّدي ومولاي ..

قمر بني هاشم ..

أبي الفضل .. العبّاس بن أمير المؤمنين عليه السلام .

..

القدوة في أداء حقّ الإمام الحسين عليه السلام ..

والأسوة في التسليم والطاعة له ..

..

سلام الله وسلام ملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين وعباده الصالحين وجميع الشهداء والصديقين الزاكيات الطيبات فيما تغتدي وتروح عليك يا ابن أمير المؤمنين ، أشهد لك بالتسليم والتصديق والوفاء والنصيحة لخلف النبي صلى الله عليه وآله المرسل والسبط المنتجب والدليل العالم والوصي المبلغ والمظلوم المضطهد .. لعن الله من قتلك ولعن الله من جهل حقك واستخف بحرمتك ولعن الله من حال بينك وبين ماء الفرات ، أشهد أنك قتلت مظلوما وأن الله منجز لكم ما وعدكم .

محمد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيد الخلق نبينا أبي القاسم محمد وآله الطيبين الطاهرين ، سيما مولانا بقية الله في الأرضين ، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين .

أقول أولاً ..

يضمّ هذا الكتابُ بحوثاً مُستلّة ومختصرة من كتابنا " المصيبة الراتبة " الذي طُبع قبل سنتين ، والذي يُعالج بحوث الشّعائر الحسينيّة والطقوس التي تحيي عزاء المصيبة بشتّى صورها ، ويسلّط الأضواء على مظاهرِ المعزّين بموضوعيّة بحسَب الواقع والنّقل والصّناعة الفقهية .

وهو موضوع مهم وخطير ، ويعتبر من أبرز ما يواجه الباحث والنّاظر عند مواجهة حديث المأساة الدّامية ، وكانت هذه الشعائر ولا تزال محل البحث والتحرّي عند القرباء والغرباء قديماً وحديثاً ..

ولقد بسطنا القول في كتابنا " الدّمعة الساكبة " في أخبار نبيّنا الكريم ﷺ وتأكيده خبر مقتل سبطه عليه السلام قبل ميلاده ، حتّى إذا وُلد تزاحمت أفواجُ الملائكة إلى حضرته مهنّأة ومعزّية بولده ، فعقد النبيّ ﷺ منذ ذلك الحين مآتمَ مختلفة وفي أماكن عدّة ، وكانت هذه المآتم هي نواة الشعائر الحسينية .

حتّى إذا وقعت الواقعة في سنة إحدى وستّين على شطّ كربلاء وقُتل سيّد شباب أهل الجنّة عليه السلام انفجر بركان الأحزان ، واشتعلت جذوة اللوعة والمصاب ،

وارتفعت راية الشّهادة الحسينية ومضت شجرة العطاء تُؤتي أُكُلَها بإذن ربّها.

لقد زالت شمس يوم عاشوراء عن سبعة عشر صريع من أهل بيته عليهم السلام ليس لهم شبيهٌ على الأرض، وعن نيّف وسبعين قتيل من أصحابه الأبرار رضي الله عنهم، وبقي بعدهم وحيداً فريداً لا ناصر له ولا معين، فعزم على لقاء الله تعالى بمهجته، حتّى خرّ صريعاً على بوغاء كربلاء كالأسد الجريح، وترادفت عليه الجموع لحزّ رأسه وسلبه، وقد كسَت الظّلمة وجه النّهار، وما أسرع أن أضاء الأفق بسنا رأسه القطيع على رمح طويل.

يُروى عن مولانا الإمام المنتظر عليه السلام تفصيل المشهد الأليم:

"لقد قتلوا بقتلك الإسلام، وعطّلوا الصلاة والصيام، ونقضوا السنن والأحكام، وهدموا قواعد الإيمان، وحرفوا آيات القرآن، وهمجوا في البغي والعدوان، لقد أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله من أجلك موتوراً، وعاد كتاب الله عز وجل مهجوراً، وغودر الحق إذ قهرت مقهوراً، وفُقد بفقدك التكبير والتهليل، والتحريم والتحليل، والتنزيل والتأويل، وظهر بعدك التغيير والتبديل، والإلحاد والتعطيل، والأهواء والأضاليل، والفتن والأباطيل.

فقام ناعيك عند قبر جدك الرسول صلى الله عليه وآله، فنعاك إليه بالدمع الهطول، قائلاً: يا رسول الله، قُتل سبطك وفتاك، واستبيح أهلك وحماك، وسبيت بعدك ذراريك، ووقع المحذور بعترتك وذويك، فانزعج الرسول، وبكى قلبه المهول، وعزّاه بك الملائكة والأنبياء، وفُجعت بك أمّك الزهراء، واختلفت جنود الملائكة المقربين، تعزّي أباك أمير المؤمنين، وأقيمت لك المآتم في أعلى عليّين، ولطمت

عليك الحور العين، وبكت السّماء وسكّانها، والجنانُ وخُزّانها، والهضاب وأقطارها، والبحار وحيتانُها، ومكّة وبنيانها، والجنان وولدانها، والبيت والمقام، والمشعر الحرام، والحل والإحرام"[١].

لقد هوت تلك المأساة الدّامية على قلوب الآل الكرام عليهم السلام هويّ الصّاعقة، وكان وقعها شديداً جدّاً، وقد واجهوا لواهب جمرتِها بتوازن غريب، وأسّسوا لتخليدها شعائر خاصّة حثّوا شيعتهم على إحيائها، وسنأتي على دراستها.

وتلقّى الشيعة تلك التّعاليم بالقبول، ونسجوا على منوال أئمتهم الأطهار عليهم السلام، وحملوا تلك الأمانة الثقيلة، وفهموا درس الحزن والعزاء بكل ذكاء وأمانة، ولقّنوه صغارهم وتوارثوه جيلاً بعد جيل، حتّى امتزج بدمائهم وقلوبهم وعقولهم، ورست الشعائر الحسينيّة في نفوسهم وتطوّرت ونمت، ولا زالت في نماء مستمر.

ونهدفُ هنا إلى دراسة ظواهر الحزن الحسينيّة المعبّرة عن أصداء المصاب الأليم، ومناقشة أهمّ الأفكار والشّبه المثارة حول بعض الطّقوس والشعائر الحسينيّة بالإستدلال المبرهن بحسب المناهج العلمية، وتحكيم النصوص الشّرعية، والإسترشاد بقول العلماء الأمناء، دون تحميل أو تحكّم، والحاجة ملحّة إلى التجرّد والترفّع عن التبعيّات والبعد عن العواطف والتقليد الأعمى.

وكانت هذه المسائل محلّ الأخذ والردّ بين الفقهاء، ولم يتصدّ لنقدها وبحثها من بين علمائنا - بحسب التاريخ المُتاح - أحدٌ في العهود القديمة، إلاّ أنّ هذا القرن الأخير كان حافلاً بالرّموز النّاقدة، ويرجع هذا إلى أسباب كثيرة ليس هذا محلّ

---

(١) بحار الأنوار (٩١/٢٤١).

ذكرها، إلاّ أنّه من أهمّها طروء بعض المراسم والطّقوس على الشعائر الحسينية.

أمّا بالنسبة للشّعائر الحسينيّة فقد تصدّى البعض لنقد بعض مظاهرها، وتصدّى عدّة من فقهاء عصره لتقويتها والردّ عليه، وكان رأيهم الغالب وحجّتهم الأقوى، وقد عرضنا آراءه وآراء غيره في كتابنا المصيبة الراتبة، من غير إشارة إلى اسمه ليكون البحث أقرب إلى الموضوعيّة وقمنا بالردّ عليها.

وأمّا بالنسبة لمادّة المجالس الحسينيّة ورواية المقتل فإنّ أوّل من تصدّى - حسب الظّاهر - لنقدها بغرض إصلاحها هو خاتمة المحدّثين الشيخ النوري رحمه الله وتبعه العلاّمة الشهيد المطهّري رحمه الله ولكنّهما وإن أحسنا في بعض الموارد إلاّ أنّ التوفيق لم يحالفهما في بعضها الآخر، ولنا مناقشات معهما في ذلك.

ولقد وضعتُ قلمي في هذا البحر الخضم وأنا أعرف أني أخوض في ما لا يرضي الكثيرين، إلاّ أنّه البحث والرأي القابل للنّقد، ولا يخامرني شكّ في أنّ العصمة لأهلها.

وأسأل الله العليّ القدير أن يعصمني من الزّلل ويسدّدني إلى الحقّ، وأن لا يجعله آخر العهد من خدمتي لساداتي ومواليّ أهل البيت عليهم السلام، وأن يجعلني وجيهاً بمولاي الإمام الحسين عليه السلام في الدّنيا والآخرة، وأن ينفعني بحبّه وخدمته، ويتمّ لي كلّ الخير بشرف الإنتساب إليه، ويقرّ به عيني ويكشف به كربي وينفّس همّي، إنّه أرحم الرّاحمين.

ଓଓଓ ഇഇഇ

الشعائر الحسينية

الشعيرة الأولى: الحزن

الشعيرة الثانية: البكاء

الشعيرة الثالثة: المجالس

الشعيرة الرابعة: إنشاد الشعر

الشعيرة الخامسة: الزيارة

الشعيرة الأخيرة: شعائر الجزع

الشعائر في اللغة والدين

أكثر مصطلحات القرآن الكريم يحتاج إلى دراسة متأنّية لاستيعاب معانيها ، وينبغي التّحقيق في منشأها وأصلها اللغوي والتثبّت من إمكان حملها في الوجه المقصود ، فربّ مصطلح دارج في جهة لا علاقة له به ، والعكس صحيحٌ أحياناً ، ومن تلك المصطلحات التي ينبغي التحقيق فيها : " الشّعائر الحُسينيّة ".

قال الجوهري في الصّحاح : الشعائر أعمال الحج ، وكل ما جعل عَلَما لطاعة الله تعالى ، وقال الأصمعي : الواحدة شعيرة.

وفي القاموس المحيط : شَعائِرهُ مَعالِمُه التي نَدَبَ اللّهُ إليها وأمَرَ بالقيامِ بِها.

وقال الشيخُ الطّريحي ﵀ في المجمع : " قوله تعالى : ﴿**وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ**﴾ أي جعلناها لكم وجعلناها من شعائر الله لكم ، فيها خير : أي ما من ظهرها وبطنها ، وإنما قدّر ذلك لأنّه في المعنى تعليل لكون نحرها من شعائر الله ، بمعنى أن نحرها مع كونها كثير النفع والخير وشدة محبة الإنسان من مال من أدل الدلائل على قوة الدّين وشدة تعظيم أمر الله ، قوله : ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ**﴾ أي هما من أعلام مناسكه ومتعبداته ، قوله : ﴿**لا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ**﴾.

قال الشيخ أبو علي : اختلف في معنى شعائر الله على أقوال ، منها لا تحلّوا حرمات الله ولا تتعدّوا حدوده ، وحملوا الشعائر على المعالم ، أي معالم حدود الله وأمره ونهيه وفرائضه ، ومنها أن شعائر الله مناسك الحج ، لا تحلوا مناسك

الحج فتضيّعوها، ومنها أن شعائر الله هي الصفا والمروة والهدي من البدن وغيرها.

ثم حكى قول الفراء: كانت عامة العرب لا ترى الصفا والمروة من الشعائر، ولا يطوفون بينهما، فنهاهم الله عن ذلك، ثم قال: وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام، ومنها لا تحلّوا ما حرّم الله عليكم في إحرامكم، ومنها أن الشّعائر هي العلامات المنصوبة للفرق بين الحل والحرام نهاهم الله تعالى أن يتجاوزوها إلى مكة بغير إحرام إلى غير ذلك، ثم قال بعد استيفاء الأقوال: وأقواها الأوّل ".

وبعد استقصاء كلمات أهل اللغة يمكن لنا الخلوص إلى أنّ الشّعائر تصدق في كل ما جُعل عَلَماً لطاعة الله تعالى ومظهراً لقوّة الإسلام وأهله، وكلّ ما صار شعاراً عرف به أهل الدّين، فشعائر الحج المصطلحة تعدّ من أقوى الدّلائل على قوة الدّين وشدّة تعظيم أمر الله تعالى وأهم سبل إلفات النظر إلى الدّين، ومن هذا المنطلق فإنّها معالم الدّين التي تضمّ فرائضه وأمره ونهيه. وكلّ ما من شأنه أن يتّصف بهذه الصّفات فهو مصداقٌ لشعائر الله تعالى.

ومعلومٌ أنّ الدّين هو مجموع الأحكام الواصلة إلينا بالطّريقين المعصومين المعبّر عنهما بالثقلين، أما الأوّل فهو القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، الثّابت وصوله إلينا بالتواتر القطعي. والثاني فهو سنّة النبي المصطفى صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام الذين ثبتت إمامتهم بطرق العقل والنّقل، ووجب طاعتهم واتّباعهم.

وأيّ مَعلَم ديني يشكّل ظاهرة في الإسلام يؤسّس من هذين الطريقين فهو شعار ديني مقدّس، يجب حفظه والذبّ عنه، ويصدق ذلك في جملة الأحكام المعلومة التي أصبحت سمة المسلم وعلامة إسلامه، وخصوصاً تلك التي تؤكّد

جانب المظهر والإستعراض والشّعار وتعكس قوّة الوجود، كالشّهادتين مثلاً، فهي تنمّ عن أصول الدّين وفروعه بشكل مجمل، ومجموع تلك المظاهر تسمّى " شعائر ".

ولّما أن كان التشيّع ومذهب أهل البيت عليهم السلام هو فكر الإسلام الأصيل من غير زيادة أو نقصان فقد إتّسم بمظاهر وشعارات خاصّة هي شعائر الإسلام أصلاً، إلاّ أنّه نُسبت لمذهب أهل البيت عليهم السلام تمييزاً لها عن سائر أطياف أهل الإسلام ومدارس الفكر الإسلامي الذين ارتضوا غير أهل البيت عليهم السلام حجّة لهم في الدّين، وقدّموا الصّحابة على القرابة، ورفضوا النّص الصحيح الصّريح الجلي في آل محمّد صلى الله عليه وآله، ولم يلتزموا بشعائر أهل البيت عليهم السلام على أنّها دينٌ يدان به، علماً أنّ كثيراً منها ثابتٌ في مصادر أهل السنّة والجماعة متواتراً عن النبي صلى الله عليه وآله الأسوة القدوة، غير أنّهم أهملوها لكونها السّمة والمظهر والشّعار لشيعة أهل البيت الأبرار رضي الله عنهم الذين وفّقهم الله تعالى لرفعه في حين زهد الآخرون فيه.

وبينما قد منّ الله سبحانه على شيعة أهل البيت عليهم السلام بحمل هذه الأمانة وشرح صدرهم لرفع هذا الشّعار فإنّ في بعض المنتسبين للتشيّع من سلبه الله تعالى توفيق قبوله، فإنّ من أهم شعارات المذهب الحق الشّهادة الثّالثة لأمير المؤمنين عليه السلام بالولاية وقد زهد فيها بعض الضّعفاء.

والذي يراه عامّة الفقهاء أنّ الشّهادة الثّالثة قد احتلّت منزلة الشّعار من المذهب، وصارت سمة للشّيعة في كلّ زمان ومكان ورمز ولائهم وسرّ قوّتهم، وبالتّالي فإنّها لازمة وإن لم تكن جزءاً منصوصاً من الأذان، أقول ذلك بغض النّظر عن صحّة ورودها في الأثر.

وكيف كان، فإنّ الشّهادة الثالثة من أهم شعائر شيعة أهل البيت عليهم السلام جنباً إلى جنب الشعائر الحسينيّة التي أسّس النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام مبادءها وأوروا وقدتها وسعَوا إلى خلودها وكان سعيهم مشكوراً وعملهم مقبولاً نامياً، فتمكّنت من نفوس الشيعة بشكل معجز، ونقلها الأوّلون للآخِرين.

ولم تخلُ بعض مظاهرها من نقد أيضاً، وقد تعرّض المؤالفون والمخالفون لمظاهر الولاء والحزن في أيّام عاشوراء، بمسمّى النّقد تارة، والتصحيح والتنزيه تارة أخرى، وكانت الشعائر أقوى من الجميع.

وممّا يثير الدّهشة أن يتخلّف بعض بني الإسلام عن رفع شعار الحسين عليه السلام بينما يرفعه الوثنيّون وأبعد النّاس عن الإسلام، ولقد رفع الزعيم الهندي المهاتمة غاندي الحسين عليه السلام شعاراً إذ قال: " تعلّمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فأنتصر ". فأين غاندي من الحسين عليه السلام !؟ وأين الهندوسية من الإسلام !؟ وهل هو هذا الدّرس الذي به استطاع إحكام قبضته على قلوب الملايين من الشعب الهندي !؟

وأعتقد أنّه لم يكن له كل هذا النّجاح لولا تأثره بالإمام الحسين عليه السلام وتمكّنه من أعماقه ووجدانه، الأمر الذي غضّ المسلمون عنه طرفهم فاستعبدهم عدوّهم وصارت أمجادهم مجرّد ماضٍ ولّى في غابر الزّمن.

ولقد كان غاندي حرّاً في فكره فانتصر، لا يحدّ ثقافته دينٌ عن حكمة، وقد كتبوا في سيرته أنّه كان يخصّص وقتاً من يومه للتدبّر في القرآن الكريم، ويستوحي تعاليمه، وهذا أمر يفرضه التأثّر بسيّد الشّهداء عليه السلام على أيّة حال.

وراح شاعر النصارى بولس سلاّمة يدوّي في رثاء الإمام الحسين عليه السلام ضمن ملحمته الكبرى التي بلغت ثلاثة آلاف بيت سمّاها " عيد الغدير " وفيها يتغنّى بمجد بطل الإنسانية أبي الحسين أمير المؤمنين عليه السلام.

ويقول الكاتب المسيحي انطون بارا : " الثّورة التي فجّرها الحسين بن علي عليه السلام في أعماق الصدور المؤمنة والضمائر الحرة هي حكاية الحرية الموؤودة بسكّين الظلم في كل زمان ومكان وجد بها حاكم ظالم غشوم، لا يقيم وزنا لحريّة إنسان، ولا يصون عهدا لقضية بشريّة، وهي قضية الأحرار تحت أي لواء انضووا، وخلف أيّ عقيدة ساروا "[(١)].

لقد وصل صوت الحسين عليه السلام لهؤلاء الأحرار فانضووا تحت رايته، وواجهوا نور برهانه بحريّة فهداهم إلى سرّ من أسرار نصره وهيمنته، ولا أشكّ في أن بلوغ هؤلاء ذلك الصّوت المقدّس لم يكن إلاّ بفضل الشّعائر الحسينيّة.

ونحن نرى كلّ ملة ونحلة تستعرض طقوسها وشعائرها الدّينيّة لتسمع البشريّة فكرتها ومقالتها في رسالة إعلاميّة خاصّة ، فاليهود لهم مظاهرهم الخاصّة وتنقل وسائل الإعلام بعضاً منها، والنّصارى لهم سماتهم التي يعرفون بها، وصليبهم في كل مكان يعكس تاريخهم ونظرتهم، وللمسلمين ما يميّزهم عموماً في شعاراتهم، ولشيعة أهل البيت عليهم السلام شعائرهم الخاصّة التي إتّسموا بها وصارت سمة لهم يعرفون بها.

---

(١) راجع الحسين في الفكر المسيحي للكاتب المسيحي أنطون بارا ص ٢١ الطبعة الثانية ١٤٠٠ هـ.

ومعلومٌ أنّ لكل أمّة طقوساً تنكرها الأمم الأخرى ، وإنّ منها أمماً دارجة على طقوس تثير استغراب أو اشمئزاز الأمم الأخرى ، بل وتعدّ في بعض الأحيان ضرباً من الجنون والسّفه ، ومثيرات العجب كامنة في خصوصيّات كلّ أمّة أو حضارة ، فهي مقتضيات كلّ بيئة وشؤونها ، كما أن الأمم تختلف كذلك في اللغة واللباس وسائر مظاهر الحياة ، وتُقاس قوّة طقوسها بحسب قوّة إيمانها بقضيّتها ، وتحرص على الشّعار بقدر تعبئتها النفسية وصلة الطقوس بوجدانها الدّيني.

ونستطيع أن نجزم أنّه لا مثيل للشعائر الحسينية في الملل والنحل الأخرى من جميع الحيثيّات ، فقد أحكم الدّين تأسيسها وأرجع أمرها - كما دلّت النّصوص - إلى عموم الحزن والبكاء والإبكاء ، ولم يحبس الأئمة عليهم السلام إظهار الأحزان في شاكلة معيّنة خاصّة ، بل أطلقوا عليهم السلام عنان الحزن بحسب البيئة والطّبيعة ، فلكلّ أمّة أن تعبّر عن حزنها بما تألف وتعرف وتعتاد ، ولكلّ بيئة أن تَبكي وتُبكي بأسلوبها المألوف عندها ، وليس لنا أن نستنكر ذلك عليها ما دامت تعبّر عن حزنها بطريقتها مواساة لأهل البيت عليهم السلام.

وعلى هذا فإنّها في كلّ الأحوال مشيّدة لأصل الإسلام ومباني دعوته ، وقد أرسى أهل البيت عليهم السلام قواعدها امتشاقاً لحسام الرّفض وإنكار المنكر ، وتشييداً للحبّ والأمر بالمعروف والدعوة للسّلام ، وشحذاً للنفوس الطّافحة بالولاء العلوي ، وتجديداً للبيعة بالولاء والطّاعة لأولى الأمر عليهم السلام الذين فرض الله سبحانه طاعتهم ، واستعداداً للبذل في نصرتهم ، وتعبأة للأنفس بالإنتظار لفرج آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم.

ولم يجعلوا عليهم السلام عذراً لأحد في التخلّف عنها تحت أيّ ظرف كان ، وعدّوا

التخلّف عن ركب الشعائر الحسينيّة جفاءً لا مبرّر له، ولم يُسقطوها في أحلك الظروف وأعصبها، لأنّها تمثّل الخيط الباقي للإسلام بعد استحكام قبضة الجور، وبها تُحفظ معالم التوحيد والنبوّة والإمامة، فأجمع أهل العلم على وجوب رفع هذا الشعار وإحياء الشّعائر الحسينيّة على كلّ مؤمن، واعتبروا إحياءها في أحلك الظروف واجباً كفائيّاً.

وقد صدر النصّ في أعتى الأيّام على الأئمة عليهم السلام وأشدّها وأعنفها بالتشديد على شعائر المذهب ومظاهره، وفي أوج فترة التقيّة التي بالغ العبّاسيّون فيها في تتبّعهم ومراقبة شيعتهم وزجّهم في السّجون شدّدوا عليهم السلام على تشييدها وإحيائها. فقد روى الشّيخ المفيد رحمه الله في المزار عن أبي محمد الحسن بن علي العسكري عليه السلام أنه قال: علامات المؤمن خمس، صلاة الإحدى والخمسين، وزيارة الأربعين، والتختّم في اليمين، وتعفير الجبين، والجهر ببسم الله الرحمن الرحيم[1].

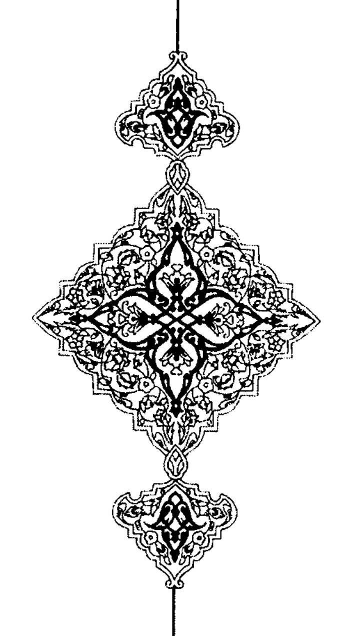
ليُذكّر الإمامُ عليه السلام بوجوب التمسّك بالمظاهر الخاصّة التي صارت سمة يُعرف بها أتباع أهل البيت عليهم السلام، يعرفون بها في طقوسهم وعباداتهم مهما كانت الظروف، ويؤكّد من بينها على زيارة جدّه الحسين عليه السلام في يوم الأربعين مهما كانت العوائق، فلا مناص من الزّيارة ولو على الخوف!!

---

(١) راجع كتاب المزار، باب فضل زيارة الأربعين ص (٥٣)، وتهذيب الأحكام (٦/٥٢)، ووسائل الشيعة (٤/٥٨) و (٥/٨١) و (١٤/٤٧٨)، وبحار الأنوار (٧٩/٢٩٢) و (٨٢/٧٦) و (٩٥/٣٤٨) و (٩٨/١٠٦ و ٣٢٩)، وإقبال الأعمال ص (٥٨٩)، وروضة الواعظين (١/١٩٥)، وعوالي اللآلي (٤/٣).

ولقد حمل الشّيعة هذا اللواء في حلوهم ومُرّهم ورخائهم وشدّتهم، في كلّ زمان ومكان، حتّى أمكننا الجزم أكيداً وبعد اتّصال العالم البشري إعلاميّاً أنّه لم يبق أحدٌ لم يبلغه الإسلام والولاية وصوت الحسين عليه السلام، ولم يبق مستضعف ليحتجّ على الله تعالى فيقول أنّه لم يسمع باسم الحسين عليه السلام، ولم يعرف من هو الحسين عليه السلام؟ هذا بفضل تأكيد هذه الشّعائر.

الشعيرة الأولى
الحزن





الحزن

الحُـزن - بالـضمّ فالـسّكون - هـو أشـدّ الهـم، والحَـزَن - بفتحـتَين - ضـدّ السّرور، والمعـني ببحثنـا المعنـى الأوّل، وهـو شـعور قلـبي بـاطني يتفـاوت قـوّة وضعفاً، وقد أدرج الثعالبي في فقـه اللغـة عـدّة مفـردات في قائمـة الحـزن في أبـواب متفرّقة من كتابه، فالكمد حزن لا يُستطاع إمضاؤه، والأسى واللـهف حزنٌ علـى الشيء يفوت، والوجوم حزنٌ يُسكت صاحبه، والأسف حزنٌ مع غضب.

ويُعـرّف الحـزن بتعـاريف مـختلفة بحسب قوّتـه وضـعفه وظهـوره مـن كـتم القلـب، وينطبـع علـى تـصرّفات الإنـسان، والـذي يعنينـا في موضـوع الـشّعائر الحسينيّة هو ظهوره من كتم القلب وإظهـاره كشعار مـن شعارات المذهب ، مع ملاحظة أنّ الحزن القلبي المحض محقّق لحصول الأجر والثواب.

ويُعدّ الحزن - في حـدّ ذاتـه - في الفكـر الـدّيني شـيءٌ ممدوح، وينطـوي علـى مكارم نفسيّة عـدّة، ويكـون الأوليـاء عليهم السلام وأحبـاب الله تعـالى في أحـزانهم أقـرب إليـه، فربّمـا ابـتلاهم ليرفـع درجـاتهم فيكـون حـزنهم مـحبوباً عنـده، فهـو تـأثّر الرّاضي بالمصيبة، الذي لا يشكو ربّه ولا يسخط على قضائه.

وقال الله تعـالى في حـالات يعقـوب الـنبي عليه السلام : ﴿**ثـم تَـوَلَّى عَنْهُمْ وَقـالَ يـا أَسَفى عَلى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ**﴾ يعـني عميـت مـن البكـاء ﴿**فَهُـوَ كَظِيمٌ**﴾ أي مـحزون، والأسـف أشدّ الحزن. وسـئل أبـو عبـد الله عليه السلام مـا بلـغ مـن

حزن يعقوب على يوسف ؟ قال: حزن سبعين ثكلى بأولادها[١].

إرث الحزن

أمّا الحزن في الأسرة النبويّة فهو إرث كريم ورثه الأئمة عليهم السلام عن جدّهم النبي صلى الله عليه وآله، فقد اختطّ رسول الله صلى الله عليه وآله بيده خطوطه العريضة وشحذ سلاح الحزنِ والدّمعة كضمان يتدارك به الشّطر الباقي من هذا الدّين.

والتّاريخ النبوي مليءٌ بالحُزن والكمد، وصفحاته تغصّ بالأهات وتئنّ من المصائب وتصرخ بالكروب وتعجّ بالأحزان، وقد كان من آخر ما تفوّه به نبيّنا الكريم صلى الله عليه وآله هو قوله لأهل بيته عليهم السلام : أنتم المستضعفون بعدي !!

ولقد ورث أهل البيت عليهم السلام الدّور المقدّس الذي بدأه أبوهم الرّسول صلى الله عليه وآله بمصابه وآلامه وآهاته ودموعه، وأعلنوا قضيّة الإمام الحسين عليه السلام قضيّتهم الكبرى، فهي تنطوي على جملة حسراتهم وآهاتهم ، وتضمّ في مطاويها كلّ الحقوق والإلتزامات الإنسانيّة المهدرة التي أكّدها وأحكم ميثاقها على هذه الأمّة كرامة لنبيّها الكريم صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين عليهم السلام.

ولقد خطى أهل البيت عليهم السلام خطوات جبّارة في سبيل رفع شعيرة الحزن وتكبّدوا في سبيل تثبيتها عناء المواجهات، حتّى حازت مساعيهم النّجاح العظيم، وتكلّلت جهودهم بالظفر والنّصر المؤزّر، واستطاعوا إرساء معالم قضيّة الإمام الحسين عليه السلام وتأصيل مختلف أبعادها، وكانت رغبة الأئمة الطاهرين عليهم السلام ببثّ الأحزان ونشرها نافذة في الضّمائر، وحاكمة على القلوب الحرّة، فاستجابت

(١) راجع بحار الأنوار (١٢/٢٤٢) عن تفسير القمّي.

لدعوتهم الأمم الموفّقة جيلاً بعد جيل.

لقد لفّت الأحزان الكربلائية راية البشر والفرح في بيت علي وفاطمة عليهما السلام بعد واقعة الطّف، وتسربل بنو هاشم سربال الحداد رجالاً ونساءً، وبقيت صور الحادثة الدّامية شاخصة أمام ناظر الصغير والكبير منهم..

فقد روى المجلسي عن المرزبّاني بإسناده إلى الإمام جعفر بن محمد الصّادق عليه السلام أنه قال: ما اكتحلت هاشميّة، ولا اختضبت، ولا رُئي في دار هاشمي دُخان خمس حجج، حتى قتل عبيد الله بن زياد[١].

وروي فيه بالإسنادٍ إلى السيّدة فاطمة بنت علي رضي الله عنه أنّها قالت: ما تحنّأت امرأة منّا، ولا أجالت في عينها مروداً، ولا امتشطت، حتّى بعَث المختار رأس عبيد الله بن زياد[٢].

حزن الإمام السجاد عليه السلام

إمتاز حزن الإمام علي بن الحسين عليه السلام بالشجاء المرير، لكونه الشّاهد الواقف على المصرع، فقد عاين الوقعة بكل تفاصيلها وقاسى من بعد هول الحادثة مرارة الأسر، فلم تنقطع عبرته ما دام حياً.

فقد روي في المناقب: أنّه عليه السلام بكى حتى خيف على عينيه، وكان إذا أخذ ماءً بكى حتى يملأها دمعاً، فقيل له في ذلك، فقال: كيف لا أبكي وقد مُنع أبي من الماء الذي كان مطلقاً للسباع والوحوش، وقيل له: أنك لتبكي دهرك فلو

---

(١) راجع بحار الأنوار (٤٥/٣٨٦).

(٢) راجع بحار الأنوار (٤٥/٣٨٦).

قتلت نفسك لما زدت على هذا، فقال: نفسي قتلتها وعليها أبكي[١].

وروي في روضة الواعظين: عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: عاش علي ابن الحسين أربعين سنة وما وضع طعام بين يديه إلاّ وبكى، حتى قال له مولى له: جعلت فداك، يا ابن رسول الله، إني أخاف أن تكون من الهالكين، قال عليه السلام: إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله، وأعلم من الله ما لا تعلمون، إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلاّ خنقتني العبرة[٢].

وروي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه بكى على أبيه الحسين عليه السلام أربعين سنة صائماً نهاره قائماً ليله، فإذا أحضر الإفطار وجاء غلامه بطعامه وشرابه فيضعه بين يديه، فيقول: كُل يا مولاي، فيقول: قتل ابن رسول الله جائعاً، قتل ابن رسول الله عطشاناً، فلا يزال يكرّر ذلك ويبكي حتى يَبل طعامه من دموعه، ثم يمزج شرابه بدموعه، فلم يزل كذلك حتى لحق بالله عز وجل[٣].

حزن الإمام الباقر عليه السلام

تنص مصادرُ السيرة على حضور الإمام محمّد بن علي الباقر عليه السلام كربلاء،

---

(١) راجع مناقب ابن شهراشوب (٤/١٦٦)، وبحار الأنوار (٤٦/١٠٨).

(٢) راجع روضة الواعظين (٢/٤٥٠)، ومناقب ابن شهراشوب (٤/١٦٥)، وبحار الأنوار (٤٦/١٠٨)، وقصص الأنبياء للجزائري ص (١٧٥)، وكامل الزيارات ص (١٠٧)، ومكارم الأخلاق ص (٣١٥).

(٣) راجع وسائل الشيعة (٣/٢٨٢ و ٢٥/٢٧٨)، وبحار الأنوار (٤٥/١٤٩)، واللهوف ص (٢٠٩)، والمجالس السنية للسيّد محسن الأمين ص (١٤٦).

فقد شهد الواقعة وهو طفل صغير، وكان مع جملة نساء الإمام الحسين عليه السلام وأطفاله في السّبي، إلاّ أنّ أخبار أحزانه مقتضبة جدّاً، وممّا لا شكّ فيه أنّ أحزان مولانا الباقر عليه السلام على مصاب جدّه عليه السلام كأحزان أبيه عليه السلام وسائر أولاده وعترته، فهم جميعاً يستشعرون الحزن في كلّ أحوالهم، وكانت تفد عليهم عليهم السلام وفود الشّعراء لتجديد تلك الذكرى، وقد ألقوا روائع شعرهم الخالد وتنافسوا وازدهر فنّ الرثاء في أحلك الظروف.

ونقل المؤرّخون أن الشاعر العربي الكميت بن زيد الأسدي - وهو من شعراء العصر الأموي، والمتوفّى في سنة ١٢٦ هـ - قد جعل معظم قصائده في مدح بني هاشم وذكر مصائب آل الرسول عليهم السلام حتى سمّيت قصائده بالهاشميات، وقال أرباب التراجم أنّه كان ينشد معظمها في مجالس الإمام الصادق عليه السلام وأبيه الإمام محمّد الباقر عليه السلام وجدّه علي بن الحسين عليه السلام[1].

ونقل المؤرّخون أنّ الكميت الأسدي قدم المدينة وأنشد الإمام محمد الباقر عليه السلام الشّعر، فلمّا بلغ قوله:

وقتيلٌ بالطّفِّ غُودِرَ منهمُ بينَ غوغاءَ أمّةٍ وطُغامِ

بكى الإمام ثم قال: يا كميت، لو كان عندنا مال لأعطيناك، ولكن لك ما قال الرسول لحسّان بن ثابت: لا زلت مؤيداً بروح القدس ما ذببت عنا أهل البيت[2].

---

(١) راجع كتاب نهضة الحسين ص (١٥٢).

(٢) راجع الكثير من تلك الأخبار بمصادرها في كتاب الشيعة والحاكمون ص (١٢٦).

وفي الكافي الشّريف: بإسناده إلى الكميت بن زيد الأسدي، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقال: واللّه يا كميت لو كان عندنا مال لأعطيناك منه، ولكن لك ما قال رسول اللّه صلى الله عليه وآله لحسّان بن ثابت: لن يزال معك روح القدس ما ذببت عنّا[1].

حزن الإمام الصادق عليه السلام

الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أكثر الأئمة الطاهرين عليهم السلام حزناً وبكاءً ونياحةً على جده الشهيد عليه السلام من حيث النقل، والسرّ في هذه الظّاهرة يرجع إلى انشغال الدّولة الأمويّة عن أهل البيت عليهم السلام باضطراباتها السّياسيّة وضعفها وإشرافها على السقوط، فتوالت الرّوايات في وصف بكائه ونحيبه وتواترت وملأت بطون كتب التاريخ وأسفار الحديث بشكل واضح ومكثّف.

فقد روي في كامل الزيارات بالإسناد إلى أبي بصير، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام أحدّثه، فدخل عليه إبنه، فقال له: مرحباً، وضمّه وقبّله، وقال: حقّر الله من حقّركم، وانتقم ممّن وتركم، وخذل الله من خذلكم، ولعن الله من قتلكم، وكان الله لكم وليّاً وحافظاً وناصراً، فقد طال بكاء النّساء وبكاء الأنبياء والصدّيقين والشهداء وملائكة السّماء، ثم بكى وقال: يا أبا بصير، إذا نظرت إلى ولد الحسين أتاني ما لا أملكه بما أتى إلى أبيهم وإليهم.

يا أبا بصير، إن فاطمة عليها السلام لتبكيه وتشهق، فتزفر جهنم زفرة لو لا أن

---

(١) راجع الكافي (١٠٢/٨)، وبحارالأنوار (٢٦٦/٣٠ و ٣٤١/٤٦)، ووسائل الشيعة (٥٩٤/١٤).

الحزنة يسمعون بكاءها وقد استعدّوا لذلك مخافة أن يخرج منها عنق أو يشرد دخانها فيحرق أهل الأرض فيحفظونها ما دامت باكية، ويزجرونها ويوثقون من أبوابها مخافة على أهل الأرض، فلا تسكن حتى يسكن صوت فاطمة الزهراء، وإن البحار تكاد أن تنفتق، فيدخل بعضها على بعض، وما منها قطرة إلاّ بها ملك موكل، فإذا سمع الملك صوتها أطفأ نارها بأجنحته وحبس بعضها على بعض مخافة على الدنيا وما فيها ومن على الأرض، فلا تزال الملائكة مشفقين يبكونه لبكائها ويدعون الله ويتضرعون إليه ويتضرع أهل العرش ومن حوله وترتفع أصوات من الملائكة بالتقديس لله مخافة على أهل الأرض، ولو أن صوتا من أصواتهم يصل إلى الأرض لصعق أهل الأرض وتقطعت الجبال وزلزلت الأرض بأهلها.

قلت: جُعلت فداك، إن هذا الأمر عظيم !! قال: غيره أعظم منه ما لم تسمعه. ثم قال لي: يا أبا بصير، أ ما تحب أن تكون فيمن يسعد فاطمة عليها السلام؟

فبكيت حين قالها، فما قدرت على المنطق، وما قدر على كلامي من البكاء، ثم قام إلى المصلّى يدعو، فخرجت من عنده على تلك الحال، فما انتفعت بطعام وما جاءني النوم وأصبحت صائما وجلاً حتى أتيته، فلما رأيته قد سكن سكنت وحمدت الله حيث لم تنزل بي عقوبة[1].

وروي في كامل الزيارات بالإسناد إلى أبي عمارة المنشد، قال: ما ذكر الحسين عليه السلام عند أبي عبد الله عليه السلام في يوم قط فرُأي أبو عبد الله عليه السلام متبسّماً في

(١) راجع كامل الزيارات ص (٨٢)، وبحار الأنوار (٤٥/٢٠٨)، ومستدرك الوسائل (١٠/٣١).

ذلك اليوم إلى الليل، وكان عليه السلام يقول: الحسين عليه السلام عبرة كل مؤمن[١].

حزن الإمام الكاظم عليه السلام

ونلاحظ عند البحث والتحرّي شحّ المرويات المنقولة لنا عن حزن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، والسّر يرجع إلى اشتداد الوطأة العبّاسيّة وسياستها الشديدة مع كل ما يمتّ للعلويّين بالصّلة، إذ بالغوا في الحرب ضدّ بني فاطمة الزّهراء عليها السلام جاهدين لمحق هذا الشّعار، وكانت مرحلة صعبة ومهمّة في تاريخ العترة وطقوسهم المحبّبة، فهي معركة وجود !!

لقد عاصر عليه السلام أعتى حكّام بني العبّاس على الإطلاق، وعايش نشاط الدّولة الجديدة الفتيّة، واستواء الرشيد على كرسي الحكم، وصبر على جفوتهم وكظم على ظلمهم، حتّى بلغ الحال أن قضى - وهو شيخ الطّالبيّين وإمام الأمّة - زهرة عمره الشريف في زنازينهم، ينقل من سجن إلى سجن، وتوالت عليه كروب الغربة والفقد وبُعد الأهل ومعاناة السجن، حتّى قُبض في سجن هارون الرشيد مظلوما مسموماً مهتضماً.

ولقد طُمرت - في تلك الفترة العاتية - أصواتُ العترة في غياهب السجون، وزُجّ بالعلويّين في أقسى المحابس وأبعدها عن نور الشّمس، ونُكّل بالعترة النبويّة شرّ تنكيل، ومع كلّ هذا الصّلف العاتي فقد حافظ الشيعة على إرث الحزن، وضمّوا الشعائر الحسينية في قلوبهم ، وأذكوا شعلة الأحزان على سيّد الشهداء

(١) راجع كامل الزيارات ص (١٠١ و ١٠٨)، وبحار الأنوار (٤٤/ ٢٨٠)، ومستدرك الوسائل (١٠/ ٣١٢).

عليه السلام بكلّ أمانة وقوّة، ولم يمنعهم الظرف الذي حجب إمامهم عنهم من رفع هذا الشّعار، فقد أحيوا أحزانهم في قعر بيوتهم أسوة بإمامهم عليه السلام.

وقد نقل الإمام الرّضا عليه السلام لنا صورة مشجية عن أحوال أبيه الإمام الكاظم عليه السلام في شهر المحرّم، وهي عمدة النّصوص في أحزانه على جدّه المظلوم عليه السلام.

فقد روى الشيخ الصدوق رحمه الله بإسناده إلى إبراهيم بن أبي محمود قال: قال الإمام الرضا عليه السلام: كان أبي عليه السلام إذا دخل شهر المحرم لا يُرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام[1].

حزن الإمام الرضا عليه السلام

وتعود في عهد الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام الأحزان ظاهرة معلنة كسابق عهدها، وقد امتلأت كتب التاريخ والحديث بأخبار حزنه على جده الإمام الحسين عليه السلام، ولا يخامرني أدنى شكّ في أنّ الإمام عليه السلام إنّما قَبِل ولاية العهد لينهض بعلوم أهل البيت عليهم السلام وشعاراتهم وأحزانهم التي حاول حكّام الجور وطغاة الأمّة طمسها، فشيّد عليه السلام العلم النبوي في فترة ولايته للعهد حتّى بدت الروايات المرويّة عنه عليه السلام كثيرة ولا تظهر عليها ملامح التقيّة إلاّ نادراً.

وقد رفع الإمام الرضا عليه السلام شعار الأحزان وأعلن وجده على جدّه الحسين عليه السلام وهو متربّع على هرم السّلطة وولاية العهد التي قبلها مرغماً، واستقبل

---

(١) راجع أمالي الصدوق ص (١٢٨)، وبحار الأنوار (٤٤/٢٨٤)، ووسائل الشيعة (١٤/٥٠٥)، وإقبال الأعمال ص (٥٤٤)، وروضة الواعظين (١/١٦٩).

الشعراء والرّثاة والمنشدين في بيت الحكم، وسنواجه قريباً خبر دعبل بن علي الخزاعي رحمه الله الذي أنشد تائيّته العصماء في محضره الشريف.

وتتميّز المرويّات الصّادرة عن الرضا عليه السلام حول المقتل بحرارة خاصّة، وتظهر عليها سِمَة الحزن الكبير، فقد روى الشيخ الصدوق رحمه الله بأسناده إلى إبراهيم بن أبي محمود، قال: قال الإمام الرّضا عليه السلام: إن المحرّم شهر كان أهل الجاهليّة يحرّمون فيه القتال، فاستحلّت فيه دماؤنا، وهُتكت فيه حُرمتُنا، وسُبيَ فيه ذرارينا ونساؤُنا، وأُضرمت النّيران في مضاربنا، وانتُهب ما فيها من ثقلنا، ولم تُرع لرسول الله حرمة في أمرنا.

إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء، أورثتنا الكرب والبلاء إلى يوم الإنقضاء، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون فإنّ البكاء عليه يحطّ الذّنوب العظام.

ثم قال عليه السلام: كان أبي إذا دخل شهر المحرّم لا يُرى ضاحكا وكانت الكآبة تغلب عليه حتى يمضي منه عشرة أيّام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين صلى الله عليه[1].

فقد روى بإسناد يرفعه إلى الريّان بن شبيب، قال: دخلت على الرّضا عليه السلام في أول يوم من المحرم، فقال لي: يا ابن شبيب أصائمٌ أنت ؟ فقلت: لا !!

فقال: إن هذا اليوم هو اليوم الذي دعا فيه زكريّا ربّه عز وجل، فقال:

---

(١) راجع أمالي الصدوق ص (١٢٨)، وبحار الأنوار (٢٨٣/٤٤)، ووسائل الشيعة (٥٠٥/١٤)، وإقبال الأعمال ص (٥٤٤)، وروضة الواعظين (١٦٩/١)، ومناقب ابن شهراشوب (٨٦/٤).

﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾. فاستجاب الله له، وأمر الملائكة فنادت زكريّا وهو قائم يصلي في المحراب: ﴿أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾ فمن صام هذا اليوم ثم دعا الله عز وجل استجاب الله له كما استجاب لزكريّا عليه السلام.

ثم قال: يا ابن شبيب، إن المحرّم هو الشّهر الذي كان أهل الجاهلية فيما مضى يحرّمون فيه الظلم والقتال لحرمته، فما عرفت هذه الأمّة حرمة شهرها ولا حرمة نبيّها، لقد قتلوا في هذا الشّهر ذريّته، وسبوا نساءه، وانتهبوا ثقله، فلا غفر الله لهم ذلك أبدا. يا ابن شبيب إن كنت باكياً لشيء فابك للحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فانه ذبح كما يذبح الكبش، وقتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً، ما لهم في الأرض شبيهون.

ولقد بكت السّماوات السّبع والأرضون لقتله، ولقد نزل إلى الأرض من الملائكة أربعة آلاف لنصره، فوجدوه قد قتل، فهم عند قبره شعث غبر إلى أن يقوم القائم، فيكونون من أنصاره، وشعارهم يا لثارات الحسين. يا ابن شبيب، لقد حدثني أبي عن أبيه عن جدّه أنّه لما قتل جدي الحسين أمطرت السّماء دماً وتراباً أحمر. يا ابن شبيب، إن بكيت على الحسين حتى تصير دموعك على خدّيك غفر الله لك كل ذنب أذنبته صغيرا كان أو كبيرا، قليلا كان أو كثيرا.

يا ابن شبيب، إن سرك أن تلقى الله عز وجل ولا ذنب عليك، فزر الحسين عليه السلام. يا ابن شبيب، إن سرّك أن تسكن الغرف المبنية في الجنّة مع النّبي صلى الله عليه وآله وسلم فالعن قتلة الحسين. يا ابن شبيب، إن سرّك أن يكون لك من الثّواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين فقل متى ما ذكرته: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً. يا ابن شبيب، إن سرّك أن تكون معنا في الدّرجات العُلى من الجنان،

فاحزن لحزننا، وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا، فلو أن رجلاً تولّى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة[١].

حزن أبناء الرضا عليه السلام

أكّد لنا التاريخ أنّ الأئمة الطاهرين عليهم السلام الذين خلَفوا الإمام علي الرّضا عليه السلام عُرّفوا به بين عامّة النّاس، فكان يُدعى واحدُهم بابن الرضا، نظراً لشهرته عليه السلام وانتشار إسمه كوليّ للعهد في البلاط العبّاسي، ويُعدّ تسنّمه الجبري لهذا المنصب آخر ظهور قويّ للإمامة على السّاحة السّياسيّة أو الإجتماعيّة، ثمّ ينحدر مستوى الظّهور والبروز من بعد ذلك إلى أقصى صور البُعد عن السّاحة.

وتوالى الحكّام من بني العبّاس على كرسيّ الخلافة محمّلين بأعباء التجربة التي أودت بشخصيّة المأمون السّياسية، فعمل التّالون له على إقصاء آل علي عليه السلام ومنابذة ساداتهم الأئمة عليهم السلام وعزلهم عن المجتمع بكلّ عزم وجد، وبالغ أسلافهم في حرب الشعائر المتّصلة بالعلويّين، وتفنّنوا في بناء السّدود بين الأمّة والأئمة عليهم السلام حتّى أقصوهم عن حواضر الدّولة الإسلاميّة ونفوهم إلى أقصى القُرى.

وفي هذا الظرف الصعب نهض الأئمة الطاهرون عليهم السلام بأعباء شعائر الحزن على جدّهم الإمام الحسين عليه السلام بعناء كبير، واستغلّوا المتنفّسات البسيطة ليقولوا كلمتهم في أحلك الظروف وأعتاها، فعمل الإمام محمّد بن علي الجواد عليه السلام، وولده الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام، وولده الإمام الحسن بن علي

---

(١) راجع عيون أخبار الرضا عليه السلام (١/٢٩٩)، أمالي الصدوق ص (١٢٩)، إقبال الأعمال ص (٥٤٤)، بحار الأنوار (٤٤/٢٨٥) و (٩٨/١٠٢) ووسائل الشيعة (١٤/٥٠٢).

العسكري عليه السلام على تقوية الشعائر تبعاً للسياسة التي كان يمارسها الخلفاء العباسيون وسلطاتهم تجاه شيعتهم الأبرار، فكانوا يقيمونها سرّا في الأعم الأغلب، وتارة تُمنع حتّى إذا كانت سرّاً !!

فلمّا صاهر المأمون العبّاسي الإمام الجواد عليه السلام وزوّجه ابنته أم الفضل تساهل في أمر أحزان العلويّين على الإمام الحسين عليه السلام، فقد كانت المجالس تقام في دور العلويين علناً دون أيّ ضغط، واستمرت هذه الحالة إلى عهد المعتصم الذي كان يسعى لمراعاة شعور العلويين والموالين لآل البيت عليهم السلام، فكان يسمح لهم بإقامة المناحات الحسينية في دورهم وخارجها سراً وعلناً.

ثمّ تشدّد الحكّام الذين خلفوا المعتصم في أمر الشعائر الحسينية، وضيّقوا الخناق على الأئمة الطاهرين عليهم السلام وشيعتهم ومواليهم، ومنعوهم من إقامتها بكل وسيلة، غير أنّ الشيعة الذين لم يقيموا العزاء علناً لم يمتنعوا عن إقامتها سراً في دورهم.

وينقل التّاريخ أنهم كانوا يسدلون الأستار على الأماكن التي كانوا يقيمون فيها شعائر الحزن، سواء كانت في دورهم أو عند قبور الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وكانوا يقصدون قبر الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء، وقبر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف، وقبري الإمامين الجوادين عليهما السلام في الكاظميّة وهو المكان المعروف وقتها بمقابر قريش، وعند التحرّي نجد أنّ أخبار إقامة الشّعائر الحسينيّة على عهد الإمامين الهادي والعسكري عليه السلام شحيحة جدّاً.

حزن الإمام المنتظر عليه السلام

الإمام صاحب الزّمان عليه السلام هو وارث الحزن الحسيني على الإطلاق، وهو الولي لثأر جدّه المظلوم عليه السلام وحامل راية تِرتِه، وهو الثّائر الذي يملأها قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، وقد دلّت الأخبار على أنّ منطلق نهضته بعد مكّة والمدينة كربلاء وأنّ شعار ثورته : يا لثارات الحسين !!

قال تالي السلف ومعدن الشرف عليه السلام :

" السلام على من هُتكت حرمتُه، السلام على من أريق بالظلم دمُه، السلام على المغسّل بدم الجراح، السّلام على المجرع بكاسات الرّماح، السلام على المُضام المستباح، السلام على المنحور في الورى، السلام على من دفنه أهل القرى ".

ويقول عليه السلام : " سلام من لو كان معك بالطفوف، لوقاك بنفسه حد السيوف، وبذل حشاشته دونك للحتوف، وجاهد بين يديك، ونصرك على من بغى عليك، وفداك بروحه وجسده، وماله وولده، وروحه لروحك فداء، وأهله لأهلك وقاء.. فلئن أخّرتني الدّهور، وعاقني عن نصرك المقدور، ولم أكن لمن حاربك محارباً، ولمن نصب لك العداوة مناصباً، فلأندبنّك صباحاً ومساءً، ولأبكينّ لك بدل الدّموع دماً، حسرة عليك وتأسّفاً، على ما دهاك وتلهّفاً، حتّى أموت بلوعة المصاب، وغصّة الإكتئاب ".

ويقول عليه السلام : " قد عجبت من صبرك ملائكة السماوات، فأحدقوا بك من كل الجهات، وأثخنوك بالجراح، وحالوا بينك وبين الرواح، ولم يبق لك ناصر،

وأنت محتسب صابر، تذب عن نسوتك وأولادك، حتى نكسوك عن جوادك، فهويت إلى الأرض جريحاً، تَطَؤُك الخيول بحوافرها، أوتعلوك الطّغاة ببواترها، قد رشح للموت جبينك، واختلفت بالانقباض والإنبساط شمالك ويمينك، تدير طرفاً خفيّاً إلى رحلك وبيتك، وقد شُغلت بنفسك عن ولدك وأهاليك.

وأسرع فرسُك شارداً، إلى خيامك قاصداً، محمحماً باكياً، فلمّا رأين النّساء جوادك مخزيّاً، ونظرن سرجَك عليه ملويّاً، برزن من الخدور، ناشرات الشعور، على الخدود لاطمات، الوجوه سافرات، وبالعويل داعيات، وبعد العزّ مذللات، وإلى مصرعك مبادرات، والشّمر جالس على صدرك، ومولغ سيفه على نحرك، قابض على شيبتك بيده، ذابح لك بمهنده، قد سكنت حواسك، وخفيت أنفاسك، ورفع على القناة رأسك "[١].

وإذا تأمّلت في هذا النّص الشريف عرفت أنّ أحزانه عليه السلام تفوق أحزان الجميع على مصاب جدّه عليه السلام، خصوصاً بعد التأمّل في قوله: " فلأندبنّك صباحاً ومساءً، ولأبكينّ لك بدل الدّموع دماً، حسرة عليك وتأسّفاً، على ما دهاك وتلهّفاً، حتّى أموت بلوعة المصاب، وغصّة الإكتئاب ".

وقد اختزل الشيعة هذه الصور المؤلمة التي نفثتها آهات مصدور الأئمة عليهم السلام وولي ثأرهم، وتلقّوا تكليفهم بالبكاء والحزن من إمام زمانهم بتلقائيّة تحت وطأة

---

(١) راجع بحار الأنوار (٣١٨/٩٨ - ٣٣٢) ضمن الزّيارة المرويّة عن النّاحية المقدّسة على صاحبها آلاف التحية والصلاة والسّلام، ولنا شرحٌ على فقراتها، نسأل الله تعالى بمنّه وكرمه أن يلهمنا الخير والصواب في إتمامه، ويوفّقنا لنيل عناياته ومراضيه وأداء حقوقه، ويشركنا في دعائه.

أشدّ الظروف، وتناقلوا الأدوار وتبادلوها تبعاً لأئمتهم عليهم السلام.

شعيرة المأتم

يرتبط الحزن بطبيعة الحال بالمأتم، وهو المجلس الذي يعدّه أهل المصائب لتعديد مصائبهم، وتتداخل هذه الشعيرة في شعيرة المجالس، إلاّ أنّي أعتقد أن المآتم هي المجالس التي عرفها العرب وأقامها الأئمة عليهم السلام قبل أن تتطوّر إلى ما هي عليه اليوم، وهي المقتصرة على جانب الحزن والمصيبة دون أيّ ضميمة أخرى.

وامتطى أهل البيت عليهم السلام وسيلة المأتم كقناة إعلامية دارجة يتأثّر بها العرب في نشر ظلاماتهم، ووجّهوها لإحياء أمرهم، فقد روي في عيون الأخبار بسنده إلى الوشاء أن الإمام الرّضا عليه السلام قال له: إني حيث أرادوا الخروج بي من المدينة جمعت عيالي فأمرتهم أن يبكوا عليّ حتى أسمع، ثم فرّقت فيهم اثني عشر ألف دينار، ثم قلت: أما إني لا أرجع إلى عيالي أبداً[1].

وروي في الكافي الشريف بسنده إلى يونس بن يعقوب عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال: قال لي أبي: " يا جعفر، أوقف لي من مالي كذا وكذا لنوادب يندبني عشر سنين بمنى أيّام منى[2].

والهدف من ذلك ليس مجرّد ذرف الدّموع، فقد اختار الموسم والمكان

---

(١) راجع عيون أخبار الرضا (٢/٢١٨)، وبحار الأنوار (٤٩/٥٢ و ١١٧)، وإعلام الورى ص (٣٢٥)، والخرائج والجرائح (١/٣٦٣)، ودلائل الإمامة ص (١٧٦)، وكشف الغمة (٢/٣٠٥)، والمناقب (٤/٣٤٠).

(٢) راجع الكافي (٥/١١٧)، وتهذيب الأحكام (٦/٣٥٨)، ووسائل الشيعة (١٧/١٢٥).

ليصل صوته إلى أقصى عدد ممكن من المسلمين، فيبعثهم للسؤال عن سبب البكاء وعن شخصيّة المبكي عليه، لكي يتفرّق النّاس محمّلين بأنباء ظلامة أهل بيت النبي الكريم ﷺ ومصيبتهم بشكل لا يمكن للسلطات الحاكمة مكافحته !!

وأخذت المآتم الحسينية في النموّ السّريع ، وانطلقت منذ اليوم الأوّل لسقوطه على تراب كربلاء، وكانت الشّام " عاصمة الحكم الأموي " المهد الذي احتضن مآتم الأسرة النبويّة في بداياتها، فقد ذكر أبو مخنف: أن يزيد (لعنه الله) أمر بأن يصلب الرأس على باب داره وأمر بأهل بيت الحسين عليه السلام أن يدخلوا داره، فلمّا دخلت النسوة دار يزيد لم يبق من آل معاوية ولا أبي سفيان أحد إلاّ استقبلهن بالبكاء والصراخ والنياحة على الحسين عليه السلام وألقين ما عليهن من الثياب والحلي وأقمن المأتم عليه ثلاثة أيام[1].

وظلّت كربلاء عاصمة المأتم الحسيني الأولى التي يقصدها الشيعة ، ومنها انتشرت أصداء الحزن إلى سائر البقاع التي تدين بولاء أهل البيت عليهم السلام ، ففي حديث عبد الله بن حمّاد البصري عن الإمام الصّادق عليه السلام : بلغني أن قوماً يأتونه من نواحي الكوفة وأناساً من غيرهم، ونساء يندبنه، وذلك في النصف من شعبان، فمن بين قارئ يقرأ وقاص يقص ونادب يندب وقائل يقول المراثي.

فقلت: نعم، جعلت فداك، قد شهدت بعض ما تصف. فقال: الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا، ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدوّنا من يطعن عليهم من قرابتنا وغيرهم، يهدّدونهم، ويقبحون ما يصنعون[2].

---

(١) راجع بحار الأنوار (١٤٣/٤٥).

(٢) راجع كامل الزيارات ص (٣٢٥)، ووسائل الشيعة (٥٩٩/١٤)، وبحار الأنوار (٧٣/٩٨).

شعيرة لبس السواد

أصبح السّواد في أيّام عاشوراء من جملة شعائر الحزن الواضحة التي تلازم الشّيعة في لباسهم وراياتهم ومجالسهم ومواكبهم، فاللون الأسود هو لون الحزن القاتم الذي يتّشح به المحزونون، وبطبيعته يرمز إلى المأتم، ومجرّد النظر إليه موجب للإنقباض والكئابة، وهو رداء أهل المصائب ، وهي عادة قديمة وجذورها ممتدّة قبل الإسلام، ولم تختصّ بالمسلمين وحدهم، فالألوية والشرائط السّوداء علامة الحزن أو الكارثة في أغلب الحضارات.

وقد ورث الشيعة هذه الشعيرة الحسينية وأخذت طابع المظهر في أيّام أحزانهم على الإمام الحسين عليه السلام ، فهم يرفعون الرّايات السّوداء، ويكسون المآتم والحسينيّات وربّما بعض البيوت بالقماش الأسود مع هلال المحرّم، تعبيراً عن تفجّعهم وحزنهم واكتئابهم، وللسّواد إيحاء خاص في نفوسهم، وانعكاس مخصوص على أرواحهم، فهو يمتاز على البكاء بالدّوام، وطبيعي أن يُستحب في عزاء الإمام المظلوم عليه السلام بناءً على العمومات الواردة في تجديد العزاء، وصيرورته من جملة الشّعائر الرّاجحة على سيّد الشّهداء عليه السلام.

أمّا الروايات النّاهية عن لبس السّواد فهي محمولة على الكراهة، وهي منصرفة إلى جعل السّواد شعاراً على نحو ما فعل فرعون ويفعل القس والرّهبان، وكما فعل بنو العبّاس، فهي تكرّه لبس السّواد باعتباره شعاراً لهم ، لا لمصيبة أو كما فعل الأئمة عليهم السلام وقد ورد في مرويّات كثيرة تأكيد لبس النبي صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام للسّواد في موارد الحزن وغير الحزن ، وأورد الفقيه المحدّث الشّيخ

يوسف البحراني رحمه الله في حدائقه الرّوايات النّاهية ثمّ عقّب عليها بقوله: " ولم يستبعد استثناء لبس السّواد في مأتم الحسين عليه السلام من هذه الأخبار لما استفاضت به الأخبار من الأمر بإظهار شعائر الأحزان عليه ".

وأثبت النقل لبس العترة السّواد حزنا على الحسين عليه السلام بحضور الإمام زين العابدين عليه السلام ، ففي المحاسن بسنده إلى عمر بن علي بن الحسين قال: لما قُتل الحسين بن علي (صلوات الله عليه) لبس نساء بني هاشم السواد والمسوح، وكنّ لا يشتكين من حر ولا برد، وكان علي بن الحسين يعمل لهن الطعام للمأتم[1].

وظلّ السّواد شعاراً واضحاً من شعائر المحرّم عند أهل البيت عليهم السلام حتّى وصل إلينا بالسيرة المتّصلة وعُرف به الشيعة في أيّام عاشوراء، ويبدو أنّ الشيعة كانوا يلبسونه من أول المحرّم ولا ينزعونه إلى اليوم التاسع من شهر ربيع الأوّل.

وروي السيّد ابن طاووس رحمه الله في الإقبال بسنده إلى الإمام الرّضا عليه السلام في حديث يذكر فيه فضل اليوم التّاسع من ربيع: " هذا يوم الإستراحة، ويوم تنفيس الكربة، ويوم الغدير الثاني، ويوم تحطيط الأوزار، ويوم الخيرة، ويوم رفع القلم، ويوم الهدو، ويوم العافية، ويوم البركة، ويوم الثارات، ويوم عيد اللّه الأكبر، ويوم يستجاب فيه الدعاء، ويوم الموقف الأعظم، ويوم التوافي، ويوم الشرط، ويوم نزع السواد[2].

والحديث ظاهر في لبس السّواد قبل اليوم التّاسع من ربيع الأوّل، وهي سيرة

---

(١) راجع المحاسن (٢/٤٢٠)، وبحار الأنوار (٤٥/١٨٨) و (٧٩/٨٤)، ووسائل الشيعة (٣/٢٣٧).

(٢) راجع إقبال الأعمال ص (٤٦٤)، وبحار الأنوار (٣١/١٢٦)، ومستدرك الوسائل (٣/٣٢).

لازالت مطّردة عند أعلامنا وعلمائنا ، وقد عدّ العلاّمة المعاصر السيّد محمّد رضا الحسيني الحائري في كتابه " نجاة الأمّة " أسماء بعض الأعلام القائلين باستحباب لبس السّواد في أيّام عاشوراء ، وأورد عدّة كبيرة من الفقهاء الملتزمين بالسّواد طيلة شهري المحرّم وصفر والفاطميّة[1] .

شعيرة الإطعام

أخذ الإطعام في يوم عاشوراء صورة الظّاهرة والشّعار في أيّام عاشوراء وسائر المناسبات المرتبطة بشهادة الأئمة عليهم السلام ، وعُرف الشّيعة بهذه الشعيرة الحسينيّة ، وأصبح قصد المآتم للتبرّك بالطعام سنّة جارية ، وفي بلادنا يعتمد الشّيعة في طعامهم على الحسينيّات ، ومعهم كثيرٌ من إخوانهم من أهل السنّة.

وارتبطت هذه الشعيرة بالحزن ومقتضى المصيبة من حيث المنشأ ، فعادة ما ينشغل أهل العزاء عن الطّعام وإعداده بالأحزان والمأتم ، ولابدّ وفقاً للآداب التي سنّها الإسلام من تصدّي من يحمل مهمّة الإطعام في هذا الظّرف ، وبما أنّ الشّيعة في أيّام عاشوراء في مأتم وعزاء وبكاء ، وهم مشغولون عن إعداد الطّعام بالمصيبة ، فيتصدّى بعض الأخيار لإعداد الطّعام وتقويتهم على الشّعائر ، مضافاً لما في تناوله

---

(١) راجع كتاب النجاة للحائري ص (٩٥ و ٩٦)، وعدّ من القائلين بالإستحباب : المحدّث الشيخ يوسف البحراني رحمه الله في الحدائق ، والمرحوم الفاضل الدربندي رحمه الله في أسرار الشهّادة ، والشّيخ النوري رحمه الله في مستدرك الوسائل ، وغيرهم. وعدّ من الملتزمين بلبس السّواد طيلة الشّهرين والفاطميّة : الإمام السيد محسن الحكيم رحمه الله ، والآية الميرزا مهدي الشيرازي رحمه الله ، والفقيه السيّد أبو القاسم الخوئي رحمه الله ، وغيرهم.

من التبرّك بالطعام المعدود باسم الإمام الحسين عليه السلام ، فيأكل منه الفقراء والأغنياء على حدّ سواء ، وأصبح الإطعام من لوازم المأتم الحسيني ، وبه تنتظم دائرة العزاء.

وورد في عموم الإطعام ما روي في أمالي الطوسي بإسناد إلى هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال : لما مات جعفر بن أبي طالب أمر رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة عليها السلام أن تتّخذ طعاماً لأسماء بنت عميس وتأتيها ونساؤها ثلاثة أيام ، فجرت بذلك السنة ، أن يصنع لأهل الميت ثلاثة أيام طعام[(١)]. وروي في الكافي مسنداً إلى حريز عن زرارة أو غيره قال : أوصى أبو جعفر عليه السلام بثمانمئة درهم لمأتمه ، وكان يرى ذلك من السنة ، لأن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : اتخذوا لآل جعفر طعاماً فقد شُغلوا[(٢)].

وروي في الكافي مسنداً إلى أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال : ينبغي لجيران صاحب المصيبة أن يطعموا الطّعام عنه ثلاثة أيّام[(٣)].

فتكفّل إعداد الطعام لأصحاب المصائب من آداب الإسلام الأكيدة ، وأمّا في خصوص عزاء الإمام الحسين عليه السلام فيدلّ عليه خبر المحاسن المسند عمر بن علي بن

---

(١) راجع أمالي الطوسي ص (٦٥٩)، والكافي (٣/٢١٧)، وبحار الأنوار (٢١/٥٤) و (٧٩/٨٢ و ٨٣)، ووسائل الشيعة (٣/٢٣٦)، ووسائل الشيعة (٢٤/٣٦٤)، والمحاسن (٢/٤١٩).

(٢) راجع الكافي (٣/٢١٧)، وقد وردت الرّواية بألفاظ متفاوتة ومتطابقة في وسائل الشيعة (٣/٢٣٧ و ٢٣٨)، ومستدرك الوسائل (٢/٣٧٩)، وبحار الأنوار (٢١/٥٥ و ٦٣) و (٤٦/٢١٥) و (٧٩/٨٣)، والجعفريات ص (٢١١)، وشرح نهج البلاغة (١٥/٧)، وعوالي اللآلي (٤/١٥)، والمحاسن (٢/٤٢٠).

(٣) راجع الكافي (٣/٢١٧)، ووسائل الشيعة (٣/٢٣٧).

الحسين، قال: لّما قتل الحسين بن علي (صلوات الله عليه) لبس نساء بني هاشم السواد والمسوح، وكنّ لا يشتكين من حرّ ولا برد، وكان علي بن الحسين عليه السلام يعمل لهن الطعام للمأتم[1].

فالإمام السجّاد عليه السلام يقوم بنفسه بإعداد الطّعام ليقوّي النساء على العزاء !! وبفعله عليه السلام تطوّر الحال إلى الشعيرة الحسينيّة، وعُرف الشّيعة به في كلّ بلد.

ولا شكّ أن سقي الماء له فضل كبير، ويتأكّد استحبابه عند قبر الإمام الحسين عليه السلام ،وروي : " من سقى يوم عاشوراء عند قبر الحسين عليه السلام كان كمن سقى عسكر الحسين عليه السلام وشهد معه " وأصبح السقي اليوم من مظاهر الشيعة في شهر المحرّم أيضاً، ويتبرّع المؤمنون للتصدّي لذلك ويبذل الأخيار الجهد والمال في سبيل الإبقاء على هذه المظاهر.

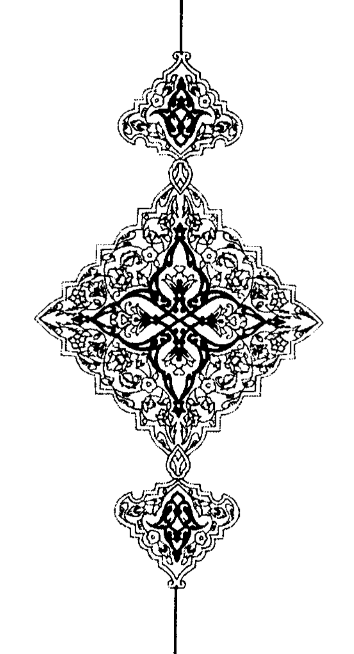
وتعتمد شعيرة الإطعام والسّقي على إنفاق الشيعة ونذوراتهم ، ولم يستقم أمر هذه المظاهر كلّها لولا بذلهم قربة لله تعالى وحُبّاً لأهل البيت عليهم السلام ، ويشكّل عطاء المؤمنين والمحبّين صندوقاً مستقلاً لدعم مسيرة العزاء وشعائر المذهب.

---

(١) راجع المحاسن (ج٢/ص٤٢٠)، وبحار الأنوار (ج٤٥/ص١٨٨) و (ج٧٩/ص٨٤)، ووسائل الشيعة (ج٣/ص٢٣).

الشعيرة الثانية

البكاء





البكاء

البكاء حالةٌ تبلغها النفس البشريّة حين يبلغ بها التأثّرُ درجةً أعلى من أن يَفِيَ بها القولُ، فيفيض الدّمعُ ليؤدّي ما لا يؤدّيه القول، ليُطلِق الشّحنة العاطفيّة الحبيسة من التأثّر العميق العنيف، والبكاء عنوان النفس الصّادقة، وترجمان الشعور الرّاقي، ورشحة الروح الرقيقة، والحقيقة التي ترقى على الرّياء والتصنّع.

والعاقلُ لا يذمّ بكاء الحزن أو ينهى عنه، لأنّه أمر غير اختياري أصلاً، كما أنّ بكاء الفرح كذلك، وذكر ابن حجر من فوائد الحديث: أنّ البكاء الذي يجلبه الحزن غيرُ مذمومٍ، وأنّ المرء قد لا يملك دمعَه إذا غلب عليه الغيظ، وفيه ما رُكّب في الإنسان من الأسف؛ على فَوْت ما فيه نفعُهُ وما يحتاج إليه[1].

ولم يختلف العرب عن غيرهم من بني الإنسان في لوازم الإنسانيّة وطبائعها، بل ويمكننا القول بأنّهم زادوا على غيرهم بفيض الوجدان وحنين الشعراء ولواعج الرّثاء، فهرعوا إلى البكاء تعبيراً عن مشاعرهم عند فِقْدانِ الأحبّة والخِلاّن ومُفارَقة الأوطانِ أو تذكُّرِ سالفِ الأزمانِ. قال امرؤ القيس:

قِفا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ ... بسِقْطِ اللِّوى بين الدَّخول فحَوْمَلِ
وإنّ شفائي عَبْرَةٌ لو سفحتُها ... وهل عند رَسْمٍ دارسٍ من مُعَوَّلِ
كأنّي غداةَ البَيْنِ يومَ تحمّلوا ... لدى سَمُراتِ الحيِّ ناقفُ حَنْظَلِ

(١) راجع فتح الباري (٦/ ٣٢١).

ففاضتْ دموعُ العينِ مِنّي صَبابَةً على النّحر حتى بلّ دمعيَ محمَلي[١]

والبكاءُ تعبيرٌ إنساني نبيلٌ، يُفصح عن شعورٍ أصيلٍ، يحبّ الإنسان إبداءه، وهو تعبير طبيعي يضطر إليه الإنسان بطبعه، ويُغنيه في بعض المواطن عن بسط وصف شعوره الكامن في باطن نفسه، وقال القُشَيري في هذا المعنى:

لو كنتَ ساعةَ بيْنِنا ما بَيْنَنَا وشهدتَ كيف نُكَرِّرُ التوديعا

أيقنتَ أنّ من الدّموع محدِّثاً وعلمتَ أنّ من الحديث دُموعا[٢]

ويبكي الإنسان لأغراض تقتضي ذلك، ويعكس بالدّمع شيمته ونفسه ومعالي شأنه وسموّ غاياته، فقد يذرف دموعه وفاءً مثلاً، فقد قال الأصمعي: إذا أردتَ أن تعرف وفاءَ الرجل ووفاءَ عهده، فانظر إلى حنينِه إلى أوطانه، وتشوّقِه إلى إخوانِه، وبكائِهِ على ما مضى من زمانِه[٣].

وقد يذرف الإنسانُ دموعه حُزناً وشكاية أو فرحاً وسروراً، أومكراً وخداعاً وتصنّعاً، أو إنابة لله تعالى وأوبة إلى رحمته، أو خوفاً من شديد نكاله، أو ندماً على التّفريط في جنبه، أو تحسّراً على فوات الخير، أو بدافع إنساني محض ..

ومن ذلك بكاء التعزية، مثل قول الخنساء ترثي أخاها صخراً:

---

(١) راجع جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ص (١١٧) بتحقيق علي محمد البجاوي، وقال أبو زيد: الناقف: الذي يشقّ الحنظل؛ فتدمع عينه من مرارته، والصبابة: رقّة الشوق.

(٢) راجع طبقات الشافعيّة الكبرى للسبكي (٥/١٦١)، وذكر ابن خلّكان في الوفيّات أنّ البيتين لذي القرنين بن حمدان، وكان القشيري يتمثّلهما، وقال: كان أبو القاسم القشيري كثيراً ما يُنشد لبعضهم. وفيّات الأعيان (٣/٢٠٧).

(٣) راجع المجموع المنتخَب من المواعظ والأدب ص (٢٣٦).

ولـــولا كثـــرةُ البـــاكين حـــولي	علـــى إخـــوانهم لقتلـــتُ نفـــسي
ومـــا يبكـــون مثـــلَ أخـــي ! ولكـــنْ	أعـــزّي الـــنفسَ عنـــه بالتأسّـــي[١]

ومن ذلك بكاء الحزن على ذهاب الأخيار، وقد عنون بعض أهل الحديث أبواباً في كتبهم بذهاب الصّالحين، ففي البخاري عن أنس بن مالك: أنّ النبي ﷺ نعى جعفراً وزيداً قبل أن يجيء خبرُهم، وعيناه تذرفان[٢].

تشريع البكاء

توقّف البعض في تشريع البكاء على الميّت ، وقد أوردنا أحاديث بكاء النّبي ﷺ على الإمام الحسين عليه السلام في كتابنا " الدّمعة السّاكبة " وذلك قبل مقتله ، وسنورد ما يثبت بكاءه ﷺ على الأموات عموماً.

فالبكاء تعبير إنساني طبيعي نابع من الذّات لا يتحكّم فيه أبداً، وهو انعكاس توجّع داخلي، ويعرف الباكي تماماً أنّه لا يعيد ببكائه الميّت الذي فقده، ولا يستردّ بدموعه حتّى بعضه، لكنّه يعكس حزنه لا إراديّاً بالبكاء ويخفّف عن نفسه به .

ووردت أحاديث كثيرة بكاء النّبي ﷺ على المتوفى وحثّه على ذلك كثيرة جدّاً، وقد ذكرنا طائفة كثيرة في كتابنا هذا، وسنورد هنا بعضها.

١. بكاؤه ﷺ عند وفاة إبنه إبراهيم:

في البخاري ، قال أنس: دخلنا مع رسول الله ﷺ وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله تذرفان، فقال له عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : وأنت يا

---

(١) راجع الزهرة لابن داود (٢/ ٥٨٤).

(٢) راجع فتح الباري ٧/ ٣٣٨.

رسول الله ؟! فقال ﷺ : إن العين تدمع والقلب يحزن، ولا نقول إلاّ ما يُرضي ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون[١].

٢. بكاؤه ﷺ على قبر أمّه:

في مسلم، عن أبي هريرة: زار النّبي ﷺ قبر أمّه فبكى وأبكى من حوله[٢].

٣. بكاؤه ﷺ شهداء مؤتة:

في البخاري: أن النّبي ﷺ نعى زيداً وجعفراً وابن رواحة للناس قبل أن يأتيهم خبرهم. وقال ﷺ : أخذ الرّاية زيد، فأصيب، ثم أخذ جعفر فأصيب، ثم أخذ ابن رواحة فأصيب، وعيناه تذرفان[٣].

٤. بكاؤه ﷺ عمّه الحمزة:

في طبقات ابن سعد: أنّه لما سمع رسول الله ﷺ بعد غزوة أحد البكاء من

---

(١) راجع صحيح مسلم (٤٠٨) كتاب الفضائل، باب رحمته بالصبيان والعيال ح (٢)، وسنن أبي داود (١٩٣/٣) كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت، وسنن ابن ماجة (١/٥٠٧) كتاب الجنائز، باب (٥٣) ح (١٥٨٩)، والبخاري (١/١٥٨) كتاب الجنائز، باب قول النّبي ﷺ : وإنا بك لمحزونون. ورياض الصالحين ص (٣٦٣-٣٦٤).

(٢) راجع صحيح مسلم (٦٧١/٢) كتاب الجنائز، باب (٣٦) ح (١٠٨)، ومسند أحمد (٤٤١/٢)، وسنن أبي داوود (٣/ ٢١٨) كتاب الجنائز باب زيارة القبور ح (٣٢٣٤)، وسنن النسائي (٤/٩٠) كتاب الجنائز، باب ما جاء في قبر المشرك، وسنن ابن ماجة (١/٥٠١) كتاب الجنائز، باب ما جاء في زيارة قبور المشركين ح (١٥٧٢).

(٣) راجع صحيح البخاري (٢/٢٠٤) كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب خالد، والبداية والنهاية لابن كثير (٤/٢٥٥)، والسنن الكبرى للبيهقي (٤/٧٠)، وأنساب الأشراف (٤٣/٢)، وشرح ابن أبي الحديد (١٥/٧٣).

دور الأنصار على قتلاهم، ذرّفت عينا رسول الله ﷺ وبكى، وقال: لكن، حمزة لا بواكي له. فسمع ذلك سعد بن معاذ، فرجع إلى نساء بني عبد الأشهل فساقهن فدعا لهن وردّهن، فلم تبك امرأة من الأنصار بعد ذلك إلى اليوم على ميت إلاّ بدأت بالبكاء على حمزة، ثم بكت على ميّتها[1].

فهذه أحاديث مروية عن النبي ﷺ تؤكّد جواز البكاء واستحبابه، وتنص على فعله وتقريره وأمره، خلافاً لمن ذهب إلى النّهي عنه على الميّت!!

البكاء على الحسين عليه السلام

البكاء على الميّت أمرٌ راجح قطعاً، خصوصاً إذا شُفع بالمقاصد الحسنة، كالإعتبار بالموت، وإظهار الحبّ للميت، ومواساة أهل الميّت في مصابهم به، وهو تعبير إنساني جُبل عليه الإنسان وطُبع عليه.

ومن هذا المنطلق فإنّه يترقّى حكم البكاء بحسب العناوين والأدلّة المُحكّمة من الرّجحان إلى الإستحباب، ومن الإستحباب إلى الإستحباب المؤكّد، كما هو الحال في البكاء على الإمام الحسين عليه السلام، إذ أنّ البكاء عليه راجحٌ قطعاً، ومستحبٌّ مؤكّدٌ، دلّ على ذلك البرهان الذي لا ينكره إلاّ مكابر، وشُفعَ ذلك بالسيرة النبويّة التي فصّلناها في كتابنا " الدّمعة السّاكبة ".

مضافاً إلى اشتمال البكاء الحسيني على قصود مهمّة وسامية، وانطوائه على

---

(١) راجع ترجمة حمزة في طبقات ابن سعد (٣/١١) طبعة صادر، ومفصّلاً في مغازي الواقدي (١/٣١٥ - ٣١٧)، وإمتاع الأسماع (١/١٦٣)، ومسند أحمد (٢/٤٠)، وتاريخ الطبري (٢/٥٣٢) ط مصر، وسيرة ابن هشام (٣/٥٠)، وأورده ابن عبد البر بإيجاز ضمن ترجمة حمزة من الإستيعاب، وأورده ابن الأثير باختصار أيضاً بترجمته من أسد الغابة.

جملة كبيرة من المنافع الدينيّة، ومجموعُها يُحتّم إستحبابه المؤكّد، ويمكننا أن نقول من بعد ذلك أنّ البكاء عليه عليه السلام مندرجٌ تحت عناوين عدّة.

الأول: بكاء الإعتبار بالموت، وما ينطوي عليه من الزّهد في الدّنيا والعمل للآخرة، والتفكّر في أحوال الماضين الذين لم يخلّفوا غير أعمالهم الصالحة.

الثّاني: بكاء تكريم الشّهيد الذي كرّمه الله بالخلود والذكر الجميل، بالشّكل الذي يقتضي التفاعل مع فكره وعطائه وهدفه والسعي إلى إحقاق الحقّ.

الثالث: بكاء تحقيق الأمر بالمعروف، الذي قُتل من أجله وقصداً لتشييده، فالبكاء عليه عليه السلام اليوم من أقوى سبل الدّعوة إلى الإسلام وتشييد الإعتقاد.

الرّابع: بكاء إنكار المنكر، ورفض الظلم والإستبداد، وتقبيح عمل الظّالمين والطغاة، وتشييد روح الشجاعة والصمود والوقوف في وجه المجرمين.

الخامس: بكاء القربة إلى الله تعالى، عبر التوحّد مع نفوس أوليائه الطاهرين عليهم السلام والتشبّه بأوضاع العارفين، والتألّم على ما هُتك من حزب الله تعالى.

السّادس: بكاء القرب من الإمام الحسين عليه السلام، فهو حبيب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الذي قال فيه: حسين منّي وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً.

السابع: بكاء الحب والولاء لأهل البيت عليهم السلام، الذين ندب القرآن الكريم ودعى إلى حبّهم ومودّتهم، بإحياء البكاء على الإمام الحسين عليه السلام.

الثامن: بكاء تشييد روح الإيمان والإباء، والتأسّي برفضه إعطاء البيعة لأعداء الدين، واختياره مواجهة الموت الكريم على هوان العبوديّة.

التاسع: بكاء الإئتمار لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام الذين بالغوا في التأكيد

على البكاء عليه، ودلّ على ذلك فعلهم وأمرهم وتقريرهم.

العاشر: بكاء مواساة أهل البيت عليهم السلام في أحزانهم، وهو واجبٌ يفرضه مودّتهم، فإنّهم قد بكوا الإمام الحسين عليه السلام ولفتوا الأنظار ببكائهم عليه.

ثواب البكاء الحسيني

تلقّى الأئمة الطاهرون عليهم السلام إرث الأحزان عن رسول الله صلى الله عليه وآله كما تلقّوا عنه العلم وسائر الكمالات والفضائل، فقنّنوا مظاهر الحزن وحفّزوا النفوس لبقائه وخلوده، وسلكوا سُبلاً غاية في التأثير، وأهمّها وصف ثوابه الجزيل..

١. روى الشيخ الصدوق رحمه الله بإسناده إلى علي بن الحسن بن فضال، عن أبيه قال: قال الإمام علي بن موسى الرّضا عليه السلام: من تذكّر مصابنا وبكى لما ارتكب منّا، كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذُكّر بمصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحيى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب[1].

ويتمّ تذكّر المصاب الذي عادةً باستحضار مشاهد الأحزان في الخاطر، من خلال التأمّل في قراءة الكتب أو إستماع الرّثاة والخطباء، وهو مقدّمة لحصول التذكّر المفضي إلى البكاء المستحب، فيستحق المؤمن الكون معهم عليهم السلام في درجتهم يوم القيامة، لتوحّده معهم بتفاعله مع قضاياهم.

٢. روى السيّد ابن طاووس رحمه الله عن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام قال: من

---

(١) راجع أمالي الشيخ الصدوق رحمه الله ص (٧٣)، وبحار الأنوار (٤٤/٢٧٨).

ذَكَرَنا أو ذُكرنا عنده فخرج من عينه دمع مثل جناح بعوضة غفر الله له ذنوبه، ولو كانت مثل زبد البحر[١].

فالبكاء يساوغ التوبة في إسقاط الذنوب، إذ أنّ الدّين قد فتح باسم الإمام الحسين عليه السلام باباً من أبواب الرّحمة الواسعة، بأقلّ الممكن من الدّمع، المعبّر عن مقداره بجناح البعوضة لغفران الذنوب وإن كانت مثل زبد البحر !!

٣. روى ابن قولويه في كامل الزيارات عن ابن خارجة عن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام قال: قال الحسين بن علي: أنا قتيل العبرة، قتلت مكروباً، وحقيق على الله أن لا يأتيني مكروب قط إلاّ ردّه الله وأقلبه إلى أهله مسروراً[٢].

ونحصدُ هنا ثمرة مهمّة من ثمار البكاء والحزن له عليه السلام وهو إتيانه وقصده، ويعتبر طابع الحزن من أوّل أسرار الجاذبية الكبرى التي وهبها لوليّه عليه السلام، فصار موئلاً لوفود الزائرين والمكروبين الذين شاء الله تعالى لهم ألاّ يرجعوا من عنده إلاّ بالسّرور والفرج وقضاء الحاجات الدّنيوية والأخرويّة.

٤. روى القمي في تفسيره بالإسناد إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّه قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يقول: أيّما مؤمن دمعت عيناه لقتل الحسين بن علي دمعة حتى تسيل على خدّه بوأه الله بها في الجنة غرفاً يسكنها أحقاباً، وأيّما مؤمن دمعت عيناه دمعاً حتى يسيل على خدّه لأذىً مسّنا من عدونا في الدّنيا بوأه الله

---

(١) راجع اللهوف ص (١٠)، وبحار الأنوار (٤٤/ ٢٧٨).

(٢) راجع كامل الزيارات ص (١٠٩)، وثواب الأعمال ص (٩٨)، وبحار الأنوار (٤٤/ ٢٧٩) و (٤٨/٩٨)، ووسائل الشيعة (١٤/ ٤٢٢).

مبوأ صدق في الجنة، وأيّما مؤمن مسّه أذى فينا فدمعت عيناه حتى يسيل دمعه على خدّيه من مضاضة ما أوذي فينا صرف الله عن وجهه الأذى وآمنه يوم القيامة من سخطه والنار[١].

وهنا يؤكّد عليه السلام أنّ الباكي لما مسّهم ولو بالدّمعة هو من الخالدين في الجنّة، ثمّ يعطف عليه السلام على هذا الدّاعي داعي البكاء من مضاضة الأذى الذي لحقه بسبب ولائهم عليهم السلام، فإنّ الله يجازيه عن صبره ويعصمه من الأذى ويجنّبه النّار.

٥. روى ابن قولويه بإسناده إلى الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه عن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام أنّه قال: إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع، ما خلا البكاء على الحسين بن علي عليه السلام فإنه فيه مأجور[٢].

ويعدّ هذا الحديث من الأصول المهمّة المعتبرة في الشّعائر الحسينية، والقاعدة المحكّمة في مظاهر الحزن، فقد ندّد عليه السلام بكلّ أنواع الجزع، ومدح الصّبر ورغّب المؤمنين بالتزامه ومنع من مجاوزته إلى ما يخالفه من الأقوال والأفعال، والجزع نقيض الصّبر. والبكاء المرفوض هو المقترن بالجزع، فهو مكروه في شريعة الإسلام، وتصل بعض مظاهره إلى الحرمة .. لكنّه عليه السلام استثنى الجزع بكلّ ضروبه ومظاهره على الإمام الحسين عليه السلام، ولم يكتفِ بالحكم بجوازه، بل أكّد على إستحبابه واستحقاق فاعله الأجر والثواب من الله تعالى، ويدخل تحت هذا

---

(١) راجع تفسير القمي (٢/ ٢٩١)، وثواب الأعمال ص (٨٣)، ووسائل الشيعة (١٤/ ٥٠١)، وبحار الأنوار (٤٤/ ٢٩١).

(٢) راجع كامل الزيارات ص (١٠٠)، وبحار الأنوار (٤٤/ ٢٩١)، ووسائل الشيعة (١٤/ ٥٠٧).

العموم كثير من الشعائر الحسينية وطقوس المواكب العزائية بوضوح.

٦. روى ابن قولويه في كامل الزيارات عن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام أنّه قال: لكل شيء ثواب، إلاّ الدّمعة فينا[1].

والمراد أنّ الله تعالى قد عيّن لكلّ عبادة من العبادات ثواباً معيّناً، وجعل إزاء كلّ عمل جزاءً خاصّاً، وهذا معهودٌ في أحاديث ثواب الأعمال، إلاّ أنَّ جزاء الدّمعة الجارية على مصاب أهل البيت عليهم السلام غير محدود أبداً، ولا يعلم ثوابها إلاّ الله سبحانه، وبذلك يتعيّن أنّ البكاء عليهم عليهم السلام من أفضل العبادات قطعاً.

كفارة الذنوب

إن مقتضى النصوص الشّريفة يؤدّي إلى استحباب البكاء على سيّد الشهداء عليه السلام، لكونه من كفارات الذنوب العظام وإن بلغت زبد البحر، الصغيرة منها والكبيرة، ويترتّب الجزاء للباكي وإن كان فاسقاً أو منافقاً أو حتّى كافراً، ويغفر الله ذنوب المذنبين بالبكاء من غير حاجة إلى التوبة كما هو ظاهر النّصوص.

ولم ينكر أحدٌ هذا الظّهور، لكّن البعض إستنكره واستبعده للزومه بعض المحاذير، منها دخول الكافر والمنافق وأصحاب الكبائر إلى الجنّة، أو إغراء الجهّال بالمعاصي والموبقات إتّكالاً على هذه العبادة، وهذا قابل للردّ.

إذ الظّاهر أنّ مصلحة بيان فضل البكاء في نفسه أهم من بيان دفع هذه المحاذير المتصوّرة، وإن كان لازمه الإغراء بالجهل المتوهَّم، لما يترتّب على بيان فضل

---

(١) راجع كامل الزيارات ص (١٠٦)، وبحار الأنوار (٤٤/٢٨٧) وفيه: (لكل سرّ ثواب)، ووسائل الشيعة (١٤/٥٩٧).

البكاء الحسيني من حفظ الدين وبقاء شريعته وفضح أعدائه، وهي فريضة لا تتقدّمها فريضة بالفضل.

ومع هذا فإن الواجب على المؤمنين ومحبّي سيّد الشهداء عليه السلام إجتناب المعاصي صغيرة وكبيرة، فقد قُتل سيّد الشّهداء عليه السلام لحفظ الدين وتثبيت شرائعه والذبّ عن أحكامه، والشيء المؤكّد هو أنّ المعاصي تسلب توفيق الخدمة من مرتكبها وتوجب قساوة القلب وتحجبه عن الصلة بالأئمّة الأطهار عليهم السلام.

وردّ بعض المتسرّعين هذه الأخبار جهلاً بها ودفعاً لهذين المحذورين، كما أنّه عمد آخرون إلى التأويل البعيد، أمّا أحسنهم حالاً فهو الذي حملها على زمان صدورها، حيث كان ذكر الإمام الحسين عليه السلام محضوراً والبكاء عليه ممنوعاً، وقال أنّها صدرت ترغيباً بالبكاء كشكل من أشكال الجهاد في تلك الظّروف المتصرّمة في ذلك الوقت. وعليه فإنّ مدلولات هذه النّصوص مقصورة على تلك الأزمنة الماضية ولا تشمل سائر العصور، فهي لا تختصّ بعصرنا الحاضر، فالبكاء اليوم ـ بزعمهم ـ لا يمحو الذنوب !!

ومن قال لهؤلاء أنّ الإمام الحسين عليه السلام اليوم ليس له عدو يمنع شيعته من البكاء أو يشنّع عليهم ويستهزء بهم، وأعداء الحسين عليه السلام موجودون في كلّ عصر وزمان، مع إشتداد عداوتهم في هذا العصر كما هو واضح ظاهر عند أدنى تأمّل، على إشتداد مصيبتنا بغيبة إمامنا وليّنا عليه السلام.

فالحقّ أن البكاء على الأئمة عليهم السلام عموماً وسيّد الشهداء عليه السلام خصوصاً هو من أرقى أنواع الجهاد في سبيل الله تعالى وحفظ الإسلام والدين في كلّ زمان، ومن أفضل وسائل الدعوة إلى الحق والفضيلة، ومن البديهي أن يترتّب عليه كلّ

هـذا الثـواب، فهـو سـبب هدايـة البـاكين وإن كـانوا مـن الكـافرين أو المخـالفين أو المنافقين أو الفاسقين، وهو السبيل البيّن لقبول الإسلام والولاية، وقد دلّت على هذا المطلب نصوص عالية المضامين، وهي متضافرة متواترة.

ولا بدّ أن نضمّ إلى ذلك إستغفار ودعاء الأئمة الأبرار عليهم السلام الذي مرّ في حقّ الباكين والزائرين، ودعاؤهم لا يتخلّف قطعاً، ولا بدّ أن يعود على كلّ البـاكين بالنّفع والفائدة، فلا يحتاجون معه إلى التوبة والإستغفار من الـذنوب بعد كـون البكاء في نفسه سبب مستقل لغفران الـذنوب صـغيرة وكـبيرة، ويمكننـا القـول أنّ البكاء على مصائب الأئمة عليهم السلام توبة إلى الله تعالى على نحو الحقيقة، ورجوع إلى كرمه وعفوه، وتعرّض إلى رضوانه.

وشأن البكاء على سيّد الشهداء عليه السلام شأن بعـض الـصّفات المحبوبـة عنـد الله تعالى والتي تحجز المتصفين بها عن دخول النّار، وإن كان صاحبها مستوجباً لهـا بكفر أو نفاق أو فسق، فتكون تلك الصفات مزيلة لتلك الموجبات.

ويدلّ على مرادنا الخبر الذي يرويه الشيخ الصدوق رحمه الله بسند صحيح بإسناد يرفعه إلى أبي عبيدة الحذاء عن أبـي عبـد الله عليه السلام قـال: أتـي الـنبي صلى الله عليه وآله بأسـارى فأمر بقتلهم خلا رجلاً من بينهم. فقال الرجل: بأبي أنت وأمي يا مـحمد، كيـف أطلقت عنّي من بينهم؟ فقال: أخبرني جبرئيل عن الله عز وجـل أن فيـك خمـس خصال يحبّهـا الله عـز وجـل ورسـوله، الغـيرة الـشديدة علـى حرمـك، والـسخاء، وحسن الخلق، وصدق اللسان، والشجاعة، فلمـا سمعهـا الرجـل أسـلم وحـسن

إسلامه وقاتل مع رسول الله ﷺ قتالاً شديداً حتى استشهد[١].

فإذا كانت هذه الصفات وأمثالها مانعة من القتل والعقوبة الدنيويّة فيمكن أن تكون مانعة من دخول النّار.

وروي في الكافي الشريف بإسناد يرفعه عبيد الله بن الوليد الوصّافي، عن مولانا الإمام الباقر عليه السلام أنّه قال: إن مؤمناً كان في مملكة جبار فولع به فهرب منه إلى دار الشرك، فنزل برجل من أهل الشرك فأظله وأرفقه وأضافه، فلما حضره الموت أوحى الله عز وجل إليه: وعزتي وجلالي لو كان لك في جنّتي مسكن لأسكنتك فيها، ولكنها محرمة على من مات بي مشركاً، ولكن يا نار هيديه ولا تؤذيه، ويؤتى برزقه طرفي النهار، قلت: من الجنة؟ قال: من حيث شاء الله[٢].

فالإتصاف ببعض الأعمال والصّفات من أسباب الهداية وغفران الذنوب، وبمقتضى الأخبار تقرّر أنّ البكاء على الإمام الحسين عليه السلام من أفضل الأعمال، وحتّى لو أنّنا افترضنا عدم هداية هؤلاء الأصناف بعد بكائهم، أو أنّنا اشترطنا الإيمان لدخول الجنّة، فلا تنافي بين هذا الإفتراض ودعوانا، إذ ليس من المحتوم دخولهم الجنّة، كما أنّه لا مانع من عدم دخولهم النّار، فيكون حيث شاء الله كما تقدّم في الخبر الأخير، فقد حرّم الله تعالى النّار على الباكين على الإمام الحسين عليه السلام كما هو ظاهر النصوص.

ويمكن أن نحمل وجوب دخول الجنّة على خصوص المؤمنين، وتحريم دخول

---

(١) راجع أمالي الصدوق ص (٢٧١)، وبحار الأنوار (١٨/ ١٠٨).

(٢) راجع الكافي (٢/ ١٨٨)، وبحار الأنوار (٨/ ٣١٥).

النّار على الفاسقين، أمّا الكفّار فإنّهم يجازون في دار الدّنيا إذ ليس لهم من خلاق يوم القيامة، ولا تصحّ عباداتهم ليثابوا عليها يوم الجزاء، فيعطيهم الله تعالى ما شاء من الخير في الدنيا.

سر الثواب الجزيل

من المثير بالفعل أن يكون للبكاء على مصائب أهل البيت عليهم السلام عموما والإمام الحسين عليه السلام خصوصاً كلّ هذا الثواب الكبير، وفحوى الأخبار الشريفة تفضليه على سائر العبادات والأعمال، ويعتقد العارفون بعلوم أهل البيت عليهم السلام أن السّر هو كون البكاء مظهر خاص لتجلّي الولاية عند الموالي، وكاشف عن معرفة راقية بهم عليهم السلام قد انطوت عليها ضمائر الباكين.

وروى الكراجكي في كنز الفوائد حديثاً يرفعه إلى سلمان الفارسي، قال: كنّا عند النبي صلى الله عليه وآله في مسجده، إذ جاء أعرابي فسأله عن مسائل في الحج وغيره.

فلمّا أجابه قال له يا رسول الله، إن حجيج قومي ممّن شهد ذلك معك أخبرنا أنك قمت بعلي بن أبي طالب عليه السلام بعد قفولك من الحج، ووقفته بالشجرات من خم، فافترضت على المسلمين طاعته ومحبّته وأوجبت عليهم جميعاً ولايته، وقد أكثروا علينا من ذلك، فبيّن لنا يا رسول الله أ ذلك فريضة علينا من الأرض لما أدنته الرحم والصّهر منك، أم من الله افترضه علينا وأوجبه من السماء ؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله: بل الله افترضه وأوجبه من السماء، وافترض ولايته على أهل السماوات وأهل الأرض جميعاً، يا أعرابي، إن جبرئيل عليه السلام هبط علي يوم الأحزاب وقال إن ربك يقرئك السلام ويقول لك: إني قد افترضت حب علي بن

أبي طالب ومودّته على أهل السماوات وأهل الأرض فلم أعذر في محبته أحداً، فمُر أمّتك بحبّه، فمن أحبه فبحبّي وحبّك أحبّه، ومن أبغضه فببغضي وبغضك أبغضه، أما إنه ما أنزل الله تعالى كتابا ولا خلق خلقاً إلاّ وجعل له سيداً، فالقرآن سيد الكتب المنزلة، وشهر رمضان سيد الشهور، وليلة القدر سيّدة الليالي، والفردوس سيد الجنان، وبيت الله الحرام سيد البقاع، وجبرئيل عليه السلام سيّد الملائكة، وأنا سيد الأنبياء، وعلي سيد الأوصياء، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، ولكل امرئ من عمله سيّد، وحبّي وحبّ علي بن أبي طالب سيد الأعمال، وما تقرب به المتقربون من طاعة ربهم.

يا أعرابي، إذا كان يوم القيامة نصب لإبراهيم منبر عن يمين العرش، ونصب لي منبر عن شمال العرش، ثم يدعى بكرسي عال يزهر نوراً فينصب بين المنبرين، فيكون إبراهيم على منبره، وأنا على منبري، ويكون أخي علي على ذلك الكرسي، فما رأيت أحسن منه حبيباً بين خليلين، يا أعرابي، ما هبط علي جبرئيل عليه السلام إلاّ وسألني عن علي، ولا عرج إلاّ وقال: اقرأ على عليّ مني السلام[1].

ولا يشكّ مؤمن بعد ذلك أن حبّ علي أمير المؤمنين عليه السلام من أفضل العبادات والأعمال، كما لا يشكّ في أنّ الله تعالى لم يعذر أحداً في حبّه، فإذا كان حبّه كذلك فإنّ مظهر صدق حبّه يكون بهذه الدّرجة من الفضل، وطبيعيّ أن يعد

---

(١) راجع كنز الفوائد (٢/٢٣٧)، وتأويل الآيات الظاهرة ص (٨٣)، وشواهد التنزيل (١/٤٦٣)، وبحار الأنوار (٤٠/٥٥)، ومثله في الجواهر السنيّة للحر العاملي ص (٣٠٣).

الله سبحانه عليه جزيل الثواب.

فإذا تأمّلنا في قول مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لمولانا سيّد الشهداء عليه السلام : أنت عبرة كلّ مؤمن ومؤمنة يا ولدي ، وإلى قول سيد الشهداء عليه السلام : أنا عبر كل مؤمن ومؤمنة يا أبتاه؟[١]

ظهر لنا أن المراد من سؤاله عليه السلام أبيه عليه السلام هو: هل أنا مظهر حبّ المؤمن لك؟ وهل أنا الحجّة والدليل على إيمانه وموالاته لك ؟ وهل الدّمعة عليّ كاشفة للتولّي لنا ؟ وظهر لنا أنّ جواب ذلك بالإيجاب قطعاً ، وكم من سائل عن أمره وهو عالم !!

ومن هنا يتضح أنّ ترتّب الثواب على الدّمعة ولو كانت بمقدار جناح البعوض أو جناح الذّباب من عين المؤمن كاشفة عن جوهره النفيس ، وهي تكفي لبلوغ أعلى رتب الأجر والثواب لصدورها مع الولاية لأهل البيت عليهم السلام . ويتّضح بذلك وجه أفضلية البكاء لمصائبهم عليهم السلام على سائر العبادات والأعمال ، فالبكاء المفضّل هو إنعكاس ولاية أهل البيت عليهم السلام على مرآة النفس الطيّبة.

وقد يُقال أنّ هذا تعسّفٌ وتحكّم ، إذ أنّ البكاء مندوبٌ ، وقد فضّلته على سائر العبادات والأعمال مطلقاً ، إذ قد يستقيم تفضيلها على سائر المندوبات إلاّ أنّ تفضيلها على الواجبات معسور جداً !!

ولدى التّحقيق نجد أنّ دعوى تفضيل الواجب على المندوب وكونه ذلك قاعدة كليّة لا تصمد أمام النقد الدّقيق ، ولو كانت قاعدة كليّة عقلية لما تطرّق لها

---

(١) راجع كامل الزيارات ص (١٠٨)، وعنه بحار الأنوار (٤٤/٢٨٠).

التخصيص، وقد تطرّق في أكثر من حكم وحكم.

فمسلّم معروف أن إنظار المعسر وإمهاله واجب، وإبراؤه مندوب، والثاني أفضل من الأول، ومسلّم أنّ ردّ السلام واجب، والإبتداء به مندوب، والثاني أفضل من الأوّل.

ولا يُتوهّم من ذلك التقليل من قيمة الواجبات التي عليها قوام الدين، كالصلاة التي إن قُبلت قُبل ما سواها وإن رُدّت رُدّ ما سواها، وكذا سائر العبادات والواجبات، خصوصاً وأن سيّد الشّهداء عليه السلام قُتل في سبيل الذبّ عنها ، لكنّ الصّلاة وسائر الواجبات لا تنفع إلاّ إذا حازت الشّرائط الظّاهرية والباطنيّة، وأعني بالظّاهرية شرائط الصّحة المذكورة في الكتب الفقهيّة، وأعني بالباطنيّة الموالاة لأهل البيت عليهم السلام .

فمن اتّصف بنور الولاية اتصف بكواشفها، والحزن على مصائبهم عليهم السلام والبكاء عليهم وزيارة قبورهم من أوّل كواشف التولّي لهم، وهي مظاهر متقدّمة - عند النّظر الدقيق - على سائر العبادات في الفضل والثواب.

فقد روى الشيخ الصدوق رحمه الله في الخصال والعيون بإسناده إلى الفضل بن شاذان، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: لما أمر الله عز وجل إبراهيم أن يذبح مكان إبنه إسماعيل الكبش الذي أنزله عليه تمنى إبراهيم أن يكون قد ذبح ابنه إسماعيل بيده، وأنه لم يؤمر بذبح الكبش مكانه، ليرجع إلى قلبه ما يرجع إلى قلب الوالد الذي يذبح أعز ولده عليه بيده فيستحق بذلك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب.

فأوحى الله عز وجل إليه: يا إبراهيم، من أحب خلقي إليك؟ فقال: يا

ربّ ما خلقت خلقاً هو أحبّ إليّ من حبيبك محمّد. فأوحى الله إليه: أ فهو أحب إليك أم نفسك ؟ قال: بل هو أحب إلي من نفسي. قال: فولده أحبّ إليك أم ولدك ؟ قال: بل ولده. قال: فذبح ولده ظلماً على أيدي أعدائه أوجع لقلبك أو ذبح ولدك بيدك في طاعتي ؟ قال: يا رب، بل ذبحه على أيدي أعدائه أوجع لقلبي. قال: يا إبراهيم، فإن طائفة تزعم أنّها من أمة محمد ستقتل الحسين ابنه من بعده ظلما وعدواناً كما يذبح الكبش ويستوجبون بذلك سخطي، فجزع إبراهيم لذلك وتوجّع قلبه، وأقبل يبكي.

فأوحى الله عز وجل: يا إبراهيم، قد فديت جزعك على ابنك إسماعيل لو ذبحته بيدك بجزعك على الحسين وقتله، وأوجبت لك أرفع درجات أهل الثواب على المصائب، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[1].

فأيّ عملٍ يُوازي ذبح الخليل عليه السلام ولده إسماعيل عليه السلام بيده فضلاً وثواباً !! ومع هذا فإنّ مفاد الرواية يدل على أنّ الله تعالى أثاب نبي الله إبراهيم عليه السلام بجزعه على الإمام الحسين عليه السلام أكثر من مثوبته على ذبح ولده !!

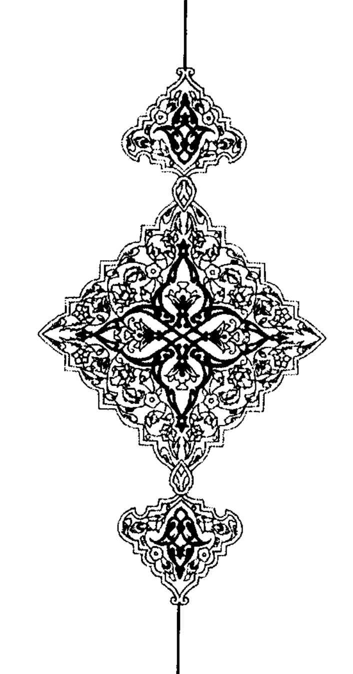
ويمكن أن نقول أن الإمام عليه السلام إذا نقل حكماً في أخبار الأنبياء السابقين عليهم السلام ولم يصرّح ببقاء الحكم وعدمه دلّنا على بقاء الحكم، فأفضليّة الجزع في مصائب الحسين عليه السلام على سائر الأعمال الواجدة للشرائط أمر باق في هذه الأمّة، وهو أفضل من أعمالنا عامّة ولو بلغت حدّ ذبح نبيّ ولده بيده بأمر الله تعالى.

---

(١) راجع الخصال (١/٥٨)، وعيون أخبار الرضا (١/٢٠٩)، وبحار الأنوار (١٢/١٢٤) و (٤٤/٢٢٥)، وتأويل الآيات الظاهرة ص (٤٨)، وقصص الأنبياء للجزائري ص (١٢٦).

الشعيرة الثالثة

المجالس



المجالس

تتحدّر مجالس الحسين عليه السلام التي نشهدها اليوم عن تاريخ متسلسل حافل بالجهود المضنية، وترجع أصولاً إلى صدر الإسلام مروراً بعصور الأئمة الطاهرين عليهم السلام، حيث بذل الأئمة عليهم السلام أقصى الجهود في تدشين هذه المؤسّسة الضخمة ووضع معالمها الرّاسخة الأسس، فهي نبويّة الإنطلاقة، إلاّ أنّها تطوّرت بعد الشّهادة، وازدهرت في عهد الأئمة عليهم السلام.

ومثّلت مجالس العترة النبويّة الإمتداد الأصيل لمجالس النبي صلى الله عليه وآله، وكانت المعاهد والمدارس التي أسّسها منذ بعثته في قلب جزيرة العرب، وبها استطاع أن يقلب الموازين، وأن يحوّل الظّلمة الظّلماء إلى نور وضّاء يملأ سماء المشرق.

وتظافرت جهود أبنائه عليه السلام المضنية من بعده صلى الله عليه وآله، وعملوا على إعداد وتأهيل نسبة عالية من عيون المجتمعات عبر مجالسهم التي أثروها بالعلم والهدى، كما أنّهم رفعوا أقدار نفر آخرين بتعليمهم وتفقيههم، حتّى تخرّج الألوف من مدرستهم العظمى، مفتخرين بهذا الإنتساب المشرّف، وحملوا علومهم وهديهم إلى الملايين عبر تتالي الأجيال، بأمانة وصدق ورساليّة.

الإسلام والمجالس

إنّ المجالس والمنتديات ظاهرة إجتماعية جديرة بالإهتمام، وطبيعتها كاشفة

عن فساد أو صحّة الذوق العام، وهي تعكس وعي مرتاديها بشكل دقيق، ولابدّ من أن يُعمل الإسلام هديه وتعاليمه في تهذيبها من براثن الجاهليّة بالسموّ بأغراضها، بصورة تؤدّي إلى الدّين والعلم والهدى.

ولقد عمل الإسلام - منذ صدر الإسلام - على دعم المواد المفيدة في المجالس العامّة والخاصّة، خلافاً لما تعوّده العرب في مجالس الجاهلية، وراح النبي ﷺ يجابه المادّة الخالية عن الفوائد العمليّة، التي لا تعود على النّاس إلاّ بتأجيج العصبيّات، ويُجابه الخرافات والأساطير والموروثات الفاسدة، ويؤسّس لمادة بديلة تنهض بأمّته فتتمكّن من منافسة أعظم الحضارات.

ففي أمالي الصدوق بإسناده إلى أبي الحسن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام أن رسول الله ﷺ دخل المسجد، فإذا جماعة قد أطافوا برجل، فقال: ما هذا؟ فقيل: علامة!! قال: وما العلامة؟ قالوا: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها وأيام الجاهلية وبالأشعار والعربية. فقال النبي ﷺ: ذاك علم لا يضر من جهله، ولا ينفع من علمه[1].

فأشرفت تعاليم الإسلام على أدقّ التفاصيل في تهذيب المجالس ولم تهمل جانباً من جوانبها، إلى درجة أن التعاليم الدينية وجّهت المسلمين حتّى في ضوابط اختيار الجليس!! في سبيل تقديس مادّة المجالس الدّينيّة والعلميّة.

وروي في الغوالي أن النبي ﷺ قال: قال الحواريون لعيسى عليه السلام: يا روح الله من نجالس؟ قال: من يذكركم الله رؤيته، ويزيد في علمكم منطقه، ويرغبكم

---

(١) راجع بحار الأنوار (١/ ٢١١).

في الآخرة عمله[١]. وفيه عن الصادقِين عليهما السلام : الجلساء ثلاثة، جليس تستفيد منه فالزمه، وجليس تفيده فأكرمه، وجليس لا تفيد ولا تستفيد منه فاهرب عنه[٢].

ثمّ رغّبت التعاليم إلى مجالسة أهل الدين والعلم ، ففي عدة الداعي عن علي أمير المؤمنين عليه السلام قال: جلوس ساعة عند العلماء أحب إلى الله من عبادة ألف سنة، والنظر إلى العالم أحب إلى الله من اعتكاف سنة في البيت الحرام، وزيارة العلماء أحب إلى الله تعالى من سبعين طوافاً حول البيت، وأفضل من سبعين حجة وعمرة مبرورة مقبولة، ورفع الله له سبعين درجة، وأنزل الله عليه الرحمة، وشهدت له الملائكة أن الجنة وجبت له[٣].

وروي في روضة الواعظين أن لقماناً قال لابنه: يا بنيّ، جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك، فإن الله عز وجل يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء[٤].

كما أنهم عليهم السلام قد نهوا أشدّ النهي عن الحضور في مجالس أعدائهم، التي يُنتقصون فيها، ففي الكافي بالإسناد إلى عبد الأعلى قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقعدنّ في مجلس يُعاب فيه إمام أو ينتقص فيه مؤمن[٥].

---

(١) راجع بحار الأنوار (١/ ٢٠٣).

(٢) راجع بحار الأنوار (١/ ٢٠٣).

(٣) راجع بحار الأنوار (١/ ٢٠٤).

(٤) راجع بحار الأنوار (١/ ٢٠٤).

(٥) راجع بحار الأنوار (٧١/ ٢١٤).

مجالس الذكر

يحتاج المؤمن إلى بناء ذاته دينيّاً وعلميّاً وفكريّاً، إذ لا خير يرتجى من الجاهل بالدين والحلال والحرام، ومن هنا فإنّ الأخبار الواردة عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام حثّت على التفقّه .. فقد روي عن الإمام الصّادق عليه السلام: ليت السياط على رؤوس أصحابي حتى يتفقهوا في الحلال والحرام(١).

وكما أن الإنسان المؤمن يحتاج إلى التفقّه والتعلّم فإنّه يحتاج في نفس الوقت إلى تذاكر الفقه والعلم، وتحريك موادّه ليحصّنه من النسيان، ولهذا فقد حثّ النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام على إقامة مجالس الذكر، ليرتادها العلماء والمتعلّمون على حدّ سواء، ومن هنا فإنّها ذات أهميّة قصوى..

روي أن رسول الله ﷺ قال: إن الله عز وجل يقول: تذاكر العلم بين عبادي مما تحيى عليه القلوب الميتة إذا انتهوا فيه إلى أمري(٢).

وروي في جامع الأخبار عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: يا أبا ذر، الجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب إلى الله من قيام ألف ليلة يصلى في كل ليلة ألف ركعة، والجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب إلى الله من ألف غزوة وقراءة القرآن كله. قال: يا رسول الله، مذاكرة العلم خير من قراءة القرآن كله !! فقال رسول الله ﷺ: يا أبا ذر. الجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب إلى الله من قراءة القرآن كله إثنا عشر ألف مرة. عليكم بمذاكرة العلم،

---

(١) راجع المحاسن (١/٢٢٩)، وعنه بحار الأنوار (١/٢١٤).

(٢) راجع بحار الأنوار (١/٢٠٣).

فإن بالعلم تعرفون الحلال من الحرام. يا أبا ذر، الجلوس ساعة عند مذاكرة العلم خير لك من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها. والنظر إلى وجه العالم خير لك من عتق ألف رقبة[١].

وروي في علل الشرائع عن يونس رفعه، أنّ لقماناً قال لابنه: يا بني اختر المجالس على عينك، فإن رأيت قوما يذكرون الله عز وجل فاجلس معهم، فإنك إن تكُ عالماً ينفعك علمك ويزيدوك علماً، وإن كنت جاهلا علّموك، ولعل الله أن يظلهم برحمة فتعمك معهم، وإذا رأيت قوما لا يذكرون الله فلا تجلس معهم، فإنك إن تَكُ عالماً لا ينفعك علمك، وإن تك جاهلاً يزيدوك جهلا، ولعل الله أن يظلهم بعقوبة فتعمك معهم[٢].

ويعني الحكيم بقوله: على عينك. أي على بصيرة منك وفحص، فإن على قد تجيء بمعنى الباء، واحتمل المرحوم المجلسي رحمه الله أنّ المقصود: رجّحها على عينك، ثم يشرع في بيان المجلس الذي ينبغي أن يختار على العين.

وتعبّر الروايات تارة عن مجالس الذكر بالحلَق، ممّا يعكس الإستعداد والتهيئة لها والإهتمام بها، كأشبه ما تكون بالمدارس الخاصّة، فقد روي في منية المريد أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا مررتم في رياض الجنة فارتعوا، قالوا: يا رسول الله، وما رياض الجنة؟ قال: حلَق الذكر، فإن لله سيارات من الملائكة يطلبون حلَق الذكر، فإذا أتوا عليهم حفّوا بهم[٣].

---

(١) راجع بحار الأنوار (١/ ٢٠٤).

(٢) راجع بحار الأنوار (١/ ٢٠١).

(٣) راجع بحار الأنوار (١/ ٢٠٤).

وحلَق الذكر هي المجالس التي يتذاكر فيها المؤمنون ما يقرّبهم إلى الله تعالى، بتعلّم الحلال والحرام، وعلوم أهل البيت عليهم السلام وفضائلهم ومناقبهم ومصائبهم ومثالب أعدائهم.

أهل البيت والمجالس

يتبادل أهل البيت عليهم السلام الأدوار في التبليغ، فقد هيّأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أرضيّة المجالس الإسلاميّة من جانب، وأشعل فتيل الحزن على أرزاء العترة عليهم السلام من جانب آخر، ثم نهجت العترة على هذا المنوال في الجانبين، فأثرى أهل البيت عليهم السلام جانب المأساة في مادّة المجالس، ووظّفوا مجالس الذكر لصالح قضيّتهم الكبرى..

فقد روي في الغوالي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: تلاقوا وتحادثوا العلم، فإن بالحديث تجلى القلوب الرائنة، وبالحديث إحياء أمرنا، فرحم الله من أحيى أمرنا[١]. وفيه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: تذاكروا وتلاقوا وتحدّثوا، فإن الحديث جلاء، إن القلوب لترين كما يرين السيف، وجلاؤها الحديث[٢].

وفي أمالي الشيخ الطوسي بالإسناد إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام أنّه قال لخيثمة: يا خيثمة، إقرأ موالينا السلام، وأوصهم بتقوى الله العظيم عز وجل، وأن يشهد أحياؤهم جنائز موتاهم، وأن يتلاقوا في بيوتهم، فإن لقياهم حياة أمرنا، ثم رفع يده عليه السلام فقال: رحم الله امرأً أحيى أمرنا[٣].

---

(١) راجع بحار الأنوار (١/٢٠٢).

(٢) راجع بحار الأنوار (١/٢٠٣).

(٣) راجع بحار الأنوار (١/٢٠٠).

وفي أمالي الصدوق بالإسناد إلى الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: من جلس مجلسا يُحيَى فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب[1].

وفي عيون الأخبار بالإسناد إلى الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: من تذكر مصابنا فبكى وأبكى لم تبك عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يحيا فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب[2].

وفي البشارة بالإسناد إلى الإمام الكاظم عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: زيّنوا مجالسكم بذكر علي بن أبي طالب[3].

وكانت هذه الرّوايات الضوء الأخضر لرفع شعارهم وتجديد ذكرهم، عبر إحياء المحافل والمجالس، حتّى صارت سمة تميّز الشيعة، وبذلك يحيون فيها أمر أئمتهم الطاهرين عليهم السلام. وتتركّز التوجيهات بصورة واضحة إلى رزيّة سيّد الشهداء عليه السلام، فهي القضية التي ترمز إلى المصائب السابقة واللاحقة عليها بوضوح.

أول المجالس الحسينية

أصبحت الرزيّة هي الطّابع الغالب لمجالس العترة، وتوالت سائر الأغراض في سياق هذا الغرض، ولابدّ للمعصومين من وضع الحجر الأساس لمجلس الإمام الحسين عليه السلام بأنفسهم، لتثبيت إنطلاقة هذه المؤسّسة وفق المعايير الخاصّة التي سيتلقّاها الشيعة، فكانوا هم أوّل من رثى الإمام الحسين عليه السلام بعد شهادته.

---

(١) راجع بحار الأنوار (١/١٩٩).

(٢) راجع بحار الأنوار (١/٢٠٠).

(٣) راجع بحار الأنوار (٣٨/١٩٩).

وكان أول مجلس أقيم بعد شهادته عليه السلام هو الأرن في أسماع الشيعة ، فهو المجلس النموذجي الذي يجب أن يحذو حذوه الخطيب الحسيني وينحو نحوه، وهو الذي رقى أعواد منبره الإمام السجّاد عليه السلام في الجامع الأموي بدمشق بعد مصرع أبيه عليه السلام ، فهو المحور التي يدور عليه سبك الخطابة الحسينية، والبيان الأوّل الصادر عن الأسرة النبويّة، والأسوة والقدوة في منهاج الرّثاء الحسيني.

وكانت خطبة قد : " أبكى منها العيون، وأوجل منها القلوب ". إذ استهلّها بديباجة الحمد لله والثناء عليه والصّلاة على نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، وركّز في مستهلّها على الوعظ ، ثم شرع في بيان فضائل أهل البيت عليهم السلام ومناقبهم، وعرّف شخصه الكريم ، وأطنب في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام على وجه الخصوص، وأعتقد أنّه فعل ليزيّن مجلسه بذكره، ولأنّه المشتوم في محفل يزيد وليس غيره.

ثم انتهى بصورة متوالية إلى غرضه الأول فخاض في ذكر التّعزية وعدّ رزايا أبيه المظلوم عليه السلام ، فعرّف نفسه لهؤلاء الجاهلين، ثمّ رثى أباه الشّهيد عليه السلام ، فحوّل هدوء المجلس الساكن إلى ضجّة واحدة من البكاء والعويل.

وإذا جمعنا شتات رواياتها عن مصدرين كان هذا نصّ رواية الخطبة :

في المناقب: أن يزيد (لعنه الله) أمر بمنبر وخطيب ليخبر الناس بمساوي الحسين وعلي عليه السلام وما فعلا، فصعد الخطيب المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم أكثر الوقيعة في علي والحسين، وأطنب في تقريظ معاوية ويزيد فذكرهما بكل جميل.

فصاح به علي بن الحسين عليه السلام : " ويلك أيها الخاطب، إشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق، فتبوأ مقعدك من النار ".

ثم قال علي بن الحسين عليه السلام : " يا يزيد، إءذن لي حتى أصعد هذه الأعواد،

فأتكلم بكلمات لله فيهن رضا، ولهؤلاء الجلساء فيهن أجر وثواب ".

فأبى يزيد عليه ذلك، فقال الناس: يا أمير المؤمنين، إءذن له فليصعد المنبر، فلعلّنا نسمع منه شيئاً، فقال: إنه إن صعد لم ينزل إلا بفضيحتي وبفضيحة آل أبي سفيان !! فقيل له: يا أمير المؤمنين وما قدر ما يحسن هذا ؟

فقال: إنه من أهل بيت قد زُقّوا العلم زقّاً، فلم يزالوا به حتى أذن له، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم خطب خطبة أبكى منها العيون، وأوجل منها القلوب.

ثم قال: " أيها الناس أعطينا ستا وفُضّلنا بسبع، أعطينا العلم والحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبة في قلوب المؤمنين، وفضلنا بأن منّا النبي المختار محمداً ومنّا الصديق ومنّا الطيار ومنّا أسد الله وأسد رسوله ومنّا سبطا هذه الأمة، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني أنبأته بحسبي ونسبي.

أيها الناس أنا ابن مكة ومنى، أنا ابن زمزم والصفا، أنا ابن من حمل الركن بأطراف الرّدا، أنا ابن خير من ائتزر وارتدى، أنا ابن خير من انتعل واحتفى، أنا ابن خير من طاف وسعى، أنا ابن خير من حج ولبى، أنا ابن من حمل على البراق في الهواء، أنا ابن من أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، أنا ابن من بلغ به جبرئيل إلى سدرة المنتهى، أنا ابن من دَنا فَتَدَلَّى فَكانَ قابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنى، أنا ابن من صلى بملائكة السماء، أنا ابن من أوحى إليه الجليل ما أوحى، أنا ابن محمد المصطفى.

أنا ابن علي المرتضى، أنا ابن من ضرب خراطيم الخلق حتى قالوا لا إله إلا الله، أنا ابن من ضرب بين يدي رسول الله بسيفين، وطعن برمحين، وهاجر

الهجرتين، وبايع البيعتين، وقاتل ببدر وحنين، ولم يكفر بالله طرفة عين، أنا ابن صالح المؤمنين، ووارث النبيين، وقامع الملحدين، ويعسوب المسلمين، ونور المجاهدين، وزين العابدين، وتاج البكّائين، وأصبر الّصابرين، وأفضل القائمين، من آل ياسين، رسول ربّ العالمين.

أنا ابن المؤيد بجبرئيل، المنصور بميكائيل، أنا ابن المحامي عن حرم المسلمين، وقاتل المارقين والناكثين والقاسطين، والمجاهد أعداءه الناصبين، وأفخر من مشى من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب لله ولرسوله من المؤمنين، وأول السابقين، وقاصم المعتدين، ومبيد المشركين، وسهم من مرامي الله على المنافقين، ولسان حكمة العابدين، وناصر دين الله وولي أمر الله وبستان حكمة الله وعيبة علمه.

سمحٌ سخيٌ بهيٌ بهلولٌ زكيٌ أبطحيٌ رضيٌ مقدامٌ همامٌ صابرٌ صوامٌ مهذبٌ قوامٌ، قاطعُ الأصلاب، ومفرق الأحزاب، أربطهم عناناً، وأثبتهم جناناً، وأمضاهم عزيمة، وأشدهم شكيمة، أسد باسل، يطحنهم في الحروب إذا ازدلفت الأسنة وقربت الأعنة طحن الرحى ويذروهم فيها ذرو الريح الهشيم.

ليث الحجاز، وكبش العراق، مكيٌّ مدنيٌّ خيفيٌ عقبيٌ بدريٌ أحديٌ شجريٌ مهاجريٌ، من العرب سيّدها، ومن الوغى ليثها، وارث المشعرين، وأبو السبطين، الحسن والحسين، ذاك جدي علي بن أبي طالب ".

ثم قال عليه السلام: " أنا ابن فاطمة الزهراء، أنا ابن سيدة النساء "(١).

---

(١) راجع بحار الأنوار (١٣٧/٤٥)، عن المناقب.

وفي رواية أخرى في نفس المناقب عن كتاب الأحمر، قال الأوزاعي: أنّه عليه السلام قال: " أنا ابن خديجة الكبرى.

أنا ابن المقتول ظُلماً، أنا ابن المجزوز الرأس من القفا، أنا ابن العطشان حتى قضى، أنا ابن طريح كربلاء، أنا ابن مسلوب العمامة والرداء، أنا ابن من بكت عليه ملائكة السماء، أنا ابن من ناحت عليه الجن في الأرض والطير في الهواء، أنا ابن من رأسه على السّنان يهدى، أنا ابن من حرمه من العراق إلى الشام تسبى ".

فلم يزل يقول: " أنا أنا " حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب، وخشي يزيد أن يكون فتنة، فأمر المؤذن فقطع عليه الكلام.

فلما قال المؤذن: الله أكبر، الله أكبر.

قال علي عليه السلام: " لا شيء أكبر من الله ".

فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله.

قال علي بن الحسين عليه السلام: " شهد بها شعري وبشري ولحمي ودمي ".

فلما قال المؤذن: أشهد أن محمّداً رسول الله، إلتفت من فوق المنبر إلى يزيد، فقال: " محمدٌ هذا جدي أم جدّك يا يزيد ؟ فإن زعمت أنه جدّك فقد كذبت وكفرت، وإن زعمت أنه جدّي فلم قتلت عترته " !![1].

وشاءت حكمة الله تعالى أن يبذر الإمام عليه السلام نواة المجلس الحسيني في قعر محفل بني أميّة، لتنطلق مسيرة العزاء من عاصمة الخلافة الأمويّة، كما نشأ موسى عليه السلام في حجر فرعون فقوّض بسلطانه حتّى ذراه أدراج الرياح !!

(١) راجع بحار الأنوار (٤٥/١٧٤)، عن المناقب لابن شهراشوب (٤/١٦٨).

مجالس حسينية خالدة

واجه أئمة أهل البيت عليهم السلام حرباً شعواء أخفاها أعداؤهم وأعلنوها تارة أخرى، وجهد أعدائهم الجهيد قتل مجالس الحسين عليه السلام ووأد نورها وإطفاء جذوتها، لأنّهم أدركوا أنّها رمز قضايا العترة عليهم السلام وشعار قوّة أمرهم، فأرادوا إبادتهم بقتل هذا الشّعار وإخماد صوت ظلامتهم، لكنّهم محالاً طلبوا !!

فاستطاع أهل البيت عليهم السلام الصّمود أمام تعاقب الأخطار وتطوّر المواجهات، وواجهوا أعتى الحروب وتحمّلوا أصعب المصاعب، حتى نجحت أهدافهم وتمكّنوا من إحياء شعائر الحزن والمحافظة على المجالس الحسينيّة حتّى وصلت إلينا بشموخ على هذه الشّاكلة المتميّزة..

وكانت الظّروف السّياسيّة ملائمة لرفع الشّعار الحسيني، وموائمة لتحرّك الأئمة عليهم السلام العلني، فقوّة الأمويّين لم تدم طويلاً، وسرعان ما تلاشت هيبتهم وتقهقرت دولتهم، فاغتنم الأئمة عليهم السلام ظروف ضعف الدّولة الأمويّة وانتقال الخلافة إلى العباسيين فأذكوا جذوة التعزية الحسينية وأشعلوا فتيل حزنها من جديد وبكيفيّات متواضعة وجبارّة.

١. أورد المرحوم المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار مسنداً إلى أبي هارون المكفوف، قال: دخلتُ على أبي عبد الله الصّادق عليه السلام فقال لي: أنشدني، فأنشدته.

فقال: لا، كما تنشدون وكما ترثيه عند قبره. فأنشدته:

أمـــرُر علــى جــدثِ الحــسينِ   وقـــل لأعظُمِـــهِ الزكيّـــه

قال: فلمّا بكى أمسكت. فقال: مُر. فمررتُ. ثم قال: زدني. قال: فأنشدته:

يـا مـريمُ قـومي وانـدبي مـولاكِ ... وعلـى الحسينِ فأسـعدي ببكـاكِ

قال: فبكى، وتهايج النّساء، فلمّا سكتن، قال لي: " من أنشد في الحسين عليه السلام فأبكى عشرة فله الجنّة، ثم جعل ينتقص واحداً واحداً حتى بلغ الواحد " فقال: " من أنشد في الحسين عليه السلام فأبكى واحداً فله الجنّة "، ثم قال: " من ذكره فبكى فله الجنّة "(١).

٢. روى أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني مسنداً إلى علي بن إسماعيل التميمي، عن أبيه، قال: كنت عند أبي عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام فأستأذن آذنه للسيد الحميري، فأمر بإيصاله، وأقعد خلف ستر، ودخل فسلّم وجلس، فأستنشده فأنشد قوله:

أمـرُر علـى جـدثِ الحسينِ ... فقـل لا عظُمِـهِ الزّكيّـه

آ أعظُمـاً لا زلـت مـن ... وطفـاءَ سـاكبةٍ رويّـه

وإذا مـرَرت بقـبرِه ... فأطـل بـِهِ وَقـفَ المطيّـه

وأبـكِ المطهّـر للمطهّـرِ ... والمطهّـرةِ التّقيّـه

كبكـاءِ معولـةٍ أتـت ... يومـاً لواحـدِها المنيّـه

قال: فرأيت دموع جعفر بن محمد عليه السلام تنحدر على خدّيه، وأرتفع الصّراخ من داره حتى أمره بالإمساك فأمسك.

٣. روى المرحوم المجلسي رحمه الله أنه دخل جعفر بن عفان على أبي عبد الله

---

(١) راجع بحار الأنوار (٤٤/٢٨٧/٢٥) عن كامل الزيارة، والوسائل (١٠/٤٦٥) ما يقرب منه، ونحوه في ثواب الأعمال.

الصّادق عليه السلام فقرّبه وأدناه، ثمّ قال له: يا جعفر.

قال: لبيك جعلني الله فداك. قال: بلغني أنك تقول الشّعر في الحسين وتجيد. فقال له: نعم جعلني الله فداك. فقال له: قُل. فأنشدته، فبكى ومَن حوله حتى صارت الدّموع على وجهه ولحيته.

ثمّ قال: يا جعفر، والله لقد شهدت ملائكة الله المقرّبون هاهنا يسمعون قولك في الحسين عليه السلام، ولقد بكوا كما بكينا وأكثر، ولقد أوجب الله تعالى لك يا جعفر في ساعته الجنّة بأسرها وغفر الله لك.

ثمّ قال: يا جعفر ألا أزيدك ؟ قال: نعم يا سيّدي. قال: ما من أحد قال في الحسين شعراً، فبكى وأبكى به إلاّ أوجب الله له الجنّة وغفر له[1].

وبدت في أفق القضيّة الحسينية ظاهرة المنشدين في عصر الأئمة الأبرار عليهم السلام وتطوّرت تفاعلاتهم مع القضيّة، وكان استناد المنشدين في ذلك راجعٌ إلى أمرهم عليهم السلام وتشجيعهم، ووظيفة المنشدين المصطلح عليها اليوم " المدّاحين " مهمّة ومقدّسة وجذورها ممتدّة إلى عصر الأئمة عليهم السلام، كما يقوم بدورها اليوم الخطيب الحسيني وكذلك الرّادود بأكمل وجه.

وكان الأئمة عليهم السلام قد وظّفوا المحبّين والمتميّزين لرثائهم، ليتم نشر القضيّة بأصدائها المحزنة، وأسندوا طريقة أدائها إلى الفنون المتعارفة والمتداولة، وعبر وسائل الإعلام المتاحة في ذلك الزّمن، واستفادوا من لغة زمنهم في تعزيز الحزن، فيكون الرّثاء بالتدريج وظيفة مستقلّة قائمة بذاتها، ومهمّة تجتذب إليها المتميّزين.

وشاء الله تعالى لهذه البذرة الطيّبة الحياة والنّماء، فأنبتت واخضرّ عودها،

---

(١) راجع بحار الأنوار (٤٤/٢٨٢).

ورست جذورها، وتطاولت أغصانها وأظهرت ثمارها، وتطوّر أداء المجلس الحسيني من بعد الرّثاء المحض إلى ضم الدّروس والمحاضرات. ومسك الختام رثاء الحسين عليه السلام مماشاة للسبك المأثور.

تطور المجالس الحسينية

تربّع المنشدون والنّائحون في الصدارة منذ تأسيس المجلس الحسيني، فهم أوائل القرّاء الحسينيين، وكذا الحال بالنسبة للمجالس النّسائيّة، إذ لمعت أسماء عدّة من النّائحات في العصر القديم، وتميّزوا رجالاً ونساءً بحسن الأداء والخبرة والإجادة لألحان الحزن، والحفظ لجيّد الشعر، فالشّعر هو المادّة الأساسيّة التي تدور عليها تلك المجالس، وتنامت هذه المادّة بشكل ظاهر وتأصّل ترابط الشّعر بالمجلس الحسيني، وامتزج به وعُدّ أحد مكوّناته وعناصره.

ثمّ أضيف على مادة الشّعر مادة أخرى، ألا وهي القصص والأخبار المتّصلة بنفس الغرض، ولا يزال يُصطلح عليها " السّيرة الحسينية " حتّى اليوم، ولمع في هذا المضمار قصّاصون ومحدّثون يقومون بوصف الأحداث المؤلمة وسردها بطرق الحزن مع الإنشاد والإبكاء، وبهذه الطريقة يحيي هؤلاء أمر أهل البيت عليهم السلام ويبينون قصّة مقتل الحسين عليه السلام وتعمّر تلك المجالس.

ونستطيع الجزم بأنّ هذا التطّور في مادّة المنبر الحسيني ظهر في عصر الأئمة الأبرار عليهم السلام وتحت نظرهم، وبالتّحديد في زمن الإمام الصّادق عليه السلام، فإنّ بعض الشّيعة رغم بعدهم المكاني عنهم عليهم السلام تلقّوا الدّرس وفهموه بإكمال مسيرة البكاء والحزن والسّعي فيها إلى كمالها المنشود، مستخدمين كل وسائل

الإعلام المتاحة في ذلك الزّمن لإذكاء الدّمعة، ونقل المأساة بحرارتها إلى الأجيال بكلّ أمانة وصدق.

فقد روي في كامل الزّيارات بالإسناد إلى عبد الله بن حماد البصري أنّ الإمام الصّادق عليه السلام قال له بعد حديث طويل عن فضل زيارة قبره الشريف: "بلغني أن قوماً يأتونه من نواحي الكوفة، وناساً من غيرهم، ونساء يَندبْنَه، وذلك في النصف من شعبان، فمن بين قاريء يقرأ، وقاص يقص، ونادب يندب، وقائل يقول المراثي". فقلت: نعم، جعلت فداك، قد شهدت بعض ما تصف. فقال: الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا، ويمدحنا، ويرثي لنا، وجعل عدوّنا من يطعن عليهم من قرابتنا، وغيرهم يهدّدونهم ويقبّحون ما يصنعون[1].

وكان مولانا الصّادق عليه السلام يُتابع بعناياته تلك المظاهر التي يُظهرها الشيعة والمحبّون في كربلاء المقدّسة على بعد المسافة بينه وبينهم، ويتحرّى أخبار العزاء في بقعة العزاء، وأجزم أنّ إمامنا صاحب الزّمان عليه السلام يتابع ويتحرّى أخبار زوّار جدّه عليه السلام ويشاركهم الحضور تحت قبّته السّامية، ويرعى الشعائر بدعائه وكرمه.

هذا، ودُوّنت - في تطوّر ملحوظ في تاريخ المجالس الحسينيّة - تلك القصص والأخبارُ المتلوّة في المجالس في كتب خاصّة، وعُرفت بالمقاتل، وكان كتاب مقتل الحسين عليه السلام هو مادة المجالس لفترة طويلة، ولا نزال ندرك بقايا هذه المرحلة في مجالس الخليج بشاطئيه وبعض نواحي العراق، فإنّ المقتل يُقرأ في يوم عاشوراء على وجه الخصوص، وأضاف قرّاء التعزية له الشعر الرثائي وجوّدوا ألحان

---

(١) راجع كامل الزيارات ص (٣٢٥)، عن بحار الأنوار (٧٣/٩٨)، ووسائل الشيعة (٥٩/١٤).

الحزن، لتتصدّر المادة القصصيّة الرّوائية، وتختتم برثاء الإمام الحسين عليه السلام شعراً.

وفي مرحلة قريبة أضيفت أشعار المناقب والفضائل إلى مادّة المجالس الأساسيّة، ثمّ أضيفت أخبار الفضائل والمناقب إلى مادّتها، مع بعض المراثي النثريّة المصاغة ببيان مهرة الأدب العربي من عُشّاق المولى أبي عبد الله عليه السلام.

لقد تطوّرت القراءة الحسينيّة وشهدت في هذه النقلة النّوعية انعطافة كبيرة بانفتاحها على المواد الإضافيّة، ممّا يطوّر في تأثيرها ويؤسّس لنموّها، وقد أُلّفت عبر الأزمان المتتالية بعض الكتب أو النّسَخ نتيجة لهذا التطّور الذي آل إليه المنبر، ككتاب " مثير الأحزان " للشّيخ ابن نما الحلّي، و " مثير الأحزان " للشيخ الجواهري، و " المنتخب في المراثي والخطب " للشيخ فخر الدّين الطريحي، و " الفوادح الحسينيّة " للشيخ حسين العصفور، وغيرها الكثير.

ثم تطوّرت مادّة المجالس بشكل ملحوظ وسريع من بعد هذه الحقبة، فأضاف الرّثاة على مادّتها المتداولة نصوص كتاب نهج البلاغة، فصاروا يبدأون خطبهم بحكمة أو كتاب أو رسالة ممّا روي من كلمات أمير المؤمنين عليه السلام، ثم يخوضون في شرحها ويبيّنون ما يتعلّق بها من أحداث تاريخيّة وما يناسبها من القصص والشّعر، ومع هذه القفزة الكبيرة في تأريخ المجالس الحسينية نستطيع أن نسمّي الرّاثي (الخطيب).

فبعد الإنفتاح على هذا المنطلق الواسع تتجدّد المطالب والمواد المتداولة على المنبر الحسيني بشكل سريع ومتطوّر، وتواكب مستوى العصر، وتلبي حاجة الزّمن، ولهذا فإنّا نلاحظ اليوم كيف يواكب المنبر الحسيني نهضة العصر الحديثة، وكيف ترقّى أداء المجلس بالشّكل الواضح، بعد الإنفتاح على العلوم

العصريّة، فدوره اليوم دور المصلح والنّاقد والمقارن والمقتبس، ويعتمد على جميع العلوم الإنسانيّة.

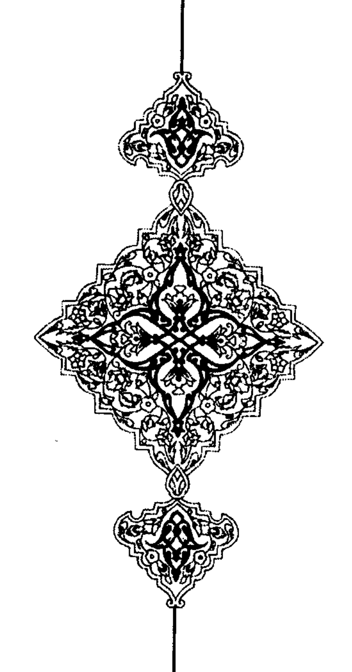
ويتعرّض الخطيب اليوم إلى مختلف حقول الفكر المتداولة في ميادين العلم على اختلاف المشارب، ويمكننا أن نقول أنّ مادة المجلس الحسيني اليوم هي العلم، ويُعالج الخطيب الحسيني مختلف القضايا العلمية والفكرية والإجتماعيّة والسياسيّة والتربويّة والأخلاقية، إلى جانب الدّينيّة والعقائدية، بكلّ حريّة وانفتاح، فغالباً ما يكون ذلك على ضوء آية قرآنيّة، أو حديث نبوي، أو كلمة من كلمات العترة الطّاهرة، أو حتّى بيتٍ من أبيات الشّعر، وربّما مَثَلٍ سائر.

هذا، وتعتبر المجالس الحسينية اليوم القناة الأهم للشيعة الإماميّة بالدّرجة الأولى وعامّة المسلمين. وتُعدّ الوسيلة المُثلى لفقه الدّعوة الحسينيّة وإيضاح أبعادها وشرح جذورها، وينطوي في ذلك التّعريف بالإسلام وتعاليمه وسبيل المحافظة على الرّابطة القويّة بين المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام.

حتّى أصبحت مجالس الإمام الحسين عليه السلام شيئاً فشيئاً منتديات للعلم والفكر الأصيل، وجامعات للفقه الإسلامي، ومعاهد للفكر الدّيني، ومنبراً للرأي الحر، ومراكز للتأهيل التربوي والمتابعة الرّوحية، وضمان الأمان والإستقرار وحياة المؤمنين وسلامتهم المعنويّة.

الشعيرة الرابعة

إنشاد الشعر



إنشاد الشعر

حكت سيرة أهل البيت عليهم السلام سيرة كرام العرب تجاه الشّعر والشّعراء، فلكلّ منهم شاعرٌ ينصره ويذبّ عنه، ولا شكّ أنّ اعتماد سلاح الشّعر من عمق حضارة العرب، فساهم أهل البيت عليهم السلام في إثراء مادّة الشّعر وحثّوا على قول الحق فيه، وجنّدوا الشعراء لنصرة الدّين، مؤكّدين على أهميّة هذه الأداة باعتبارها القناة الإعلاميّة الباقية التي انحصرت سُبُل التّرويج فيها آنذاك.

فقد روي أن الإمام الحسن عليه السلام أعطى شاعراً، فقال له رجل من جلسائه: سبحان الله، تعطي شاعراً يعصي الرحمن، ويقول البهتان!! فقال: يا عبد الله، إن خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك، وإن من ابتغاء الخير اتقاء الشر[1].

ودفع الأئمة عليهم السلام الشّعراء والمنشدين ورغّبوهم في قول الحق، فامتدّت بمساعيهم هذه الشعيرة وتنامت أطرافها، وجاوزت في نجاحها سائر المؤسّسات الإنسانية في تاريخ الدّنيا، حتّى أمكننا أن ندّعي اليوم بمليء الفم أنّه لم يُرثَ شخص في تاريخ الدنيا بأكثر ممّا رُثي به سيّد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

والسّر الظّاهر في ذلك بعد لطف الله تعالى به والمكانة التي أعطاها للشهيد هو الجهد الجبّار الذي حقّقه أهل البيت عليهم السلام، متمّمين نهجاً نبويّاً مدروساً ومُتقناً، وهو الكفيل بإذكاء جذوة الحزن الحسيني.

---

(١) راجع بحار الأنوار (٤٣/ ٣٥٨).

عينية السيد الحميري

في تاريخ الإنشاد والشعر عيّنات مقدّمة ونماذج محبّبة لأهل البيت عليهم السلام، حاز بعضها على رضا الأئمة عليهم السلام فسدّدتها يد الغيب بالقبول، فرغّب الأئمة عليهم السلام في حفظها والإهتمام بها، ويكشف ذلك خلوص نيّة ناظميها وكذلك قوّة سبكها، ونعرف أهميّة المطالب المطروقة عندهم عليهم السلام، فإنّ أمرهم بحفظها يعزّز قيمة المعلومات التاريخيّة والعقائدية المطروحة في القصيدة والقيَم والحقائق فيها، وروي عن الإمام الصّادق عليه السلام: أعربوا كلامنا فإنا قوم فصحاء[1].

وروي عن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام: كان أمير المؤمنين عليه السلام يعجبه أن يروي شعر أبي طالب وأن يدوّن، وقال: تعلّموه وعلّموه أولادكم فإنّه كان على دين الله، وفيه علم كثير[2].

وفي كتب الحديث قصائد اهتمّ بها أهل البيت عليهم السلام ودعوا إلى حفظها لوجود الأهليّة الأكيدة فيها، من قبيل عينيّة السيّد إسماعيل الحميري رحمه الله التي اهتمّ بها الشيعة منذ زمن بعيد.

روى المجلسي رحمه الله: عن سهل بن ذبيان قال دخلت على الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام في بعض الأيام قبل أن يدخل عليه أحد من الناس. فقال لي: مرحبا بك يا ابن ذبيان، الساعة أراد رسولنا أن يأتيك لتحضر عندنا !! فقلت:

---

(١) راجع بحار الأنوار (٢/١٥١)، والكافي (١/٥٣).

(٢) راجع بحار الأنوار (٣٥/١١٥)، ووسائل الشيعة (١٧/٣٣١)، ومستدرك الوسائل (٦/١٠١)، وإيمان أبي طالب ص (١٣٠).

لماذا يا ابن رسول الله ؟ فقال: لمنام رأيته البارحة، وقد أزعجني وأرقني. فقلت: خيراً يكون إن شاء الله تعالى.

فقال: يا ابن ذبيان، رأيت كأني قد نصب لي سلم فيه مائة مرقاة، فصعدت إلى أعلاه. فقلت: يا مولاي أهنّيك بطول العمر، وربّما تعيش ماءة سنة، لكل مرقاة سنة. فقال لي عليه السلام: ما شاء الله كان.

ثم قال عليه السلام: يا ابن ذبيان، فلمّا صعدت إلى أعلى السلّم، رأيت كأني دخلت في قبة خضراء يرى ظاهرها من باطنها، ورأيت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً فيها، وإلى يمينه وشماله غلامان حسنان يشرق النور من وجوههما، ورأيت امرأة بهيّة الخلقة، ورأيت بين يديه شخصاً بهيّ الخلقة جالساً عنده، ورأيت رجلاً واقفاً بين يديه وهو يقرأ هذه القصيدة: لأم عمرو باللوى مربع.

فلمّا رآني النبي صلى الله عليه وآله قال لي: مرحبا بك يا ولدي يا علي بن موسى الرضا، سلّم على أبيك علي، فسلمت عليه، ثم قال لي: سلّم على أمك فاطمة الزهراء، فسلّمت عليها، فقال لي: وسلم على أبويك الحسن والحسين، فسلمت عليهما، ثم قال لي: وسلّم على شاعرنا ومادحنا في دار الدنيا السيد إسماعيل الحميري، فسلّمت عليه، وجلست، فالتفت النبي إلى السيّد إسماعيل فقال له: عُد إلى ما كنّا فيه من إنشاد القصيدة، فأنشد يقول:

لأمِّ عمروٍ باللّوى مربعُ ... طامسةٌ أعلامُهُ بلقعُ

فبكى النبي صلى الله عليه وآله، فلمّا بلغ إلى قوله: " ووجهه كالشمس إذ تطلع " بكى النبي صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام معه، ومن معه، ولما بلغ إلى قوله:

قــالوا لــه لــو شـئتَ أعلمتَنــا　　إلى مـــن الغايـــةُ و المفـــزعُ

رفع النبي ﷺ يديه وقال: إلهي أنت الشاهد علي وعليهم إني أعلمتهم أن الغاية والمفزع علي بن أبي طالب، وأشار بيده إليه وهو جالس بين يديه عليه السلام.

قال علي بن موسى الرضا عليه السلام: فلمّا فرغ السيد إسماعيل الحميري من إنشاء القصيدة إلتفت النبي ﷺ إليّ وقال لي: يا علي بن موسى، إحفظ هذه القصيدة ومُر شيعتنا بحفظها، وأعلمهم أن من حفظها وأدمن قراءتها ضمنت له الجنة على الله تعالى، قال الرضا عليه السلام: ولم يزل يكرّرها عليّ حتى حفظتها منه، والقصيدة هذه:

لأمِّ عمـــروٍ بـــاللّوى مربـــعُ　　طامـــسةٌ أعلامُـــهُ بلقـــعُ

تـــروحُ عنـــهُ الطّـــيرُ وحـــشيةً　　والأُســـدُ مـــن خِيفتِـــهِ تَفـــزعُ

برســـمِ دارٍ مـــا بهـــا مُـــؤنسٌ　　إلاّ صِـــلالٌ في الثّـــرى وُقَّـــعُ

رقـــشٌ يخـــافُ المـــوتُ نفثاتِهـــا　　والـــسّمُّ في أنيابهـــا مُنقَـــعُ

لمـــا وقفـــنَ العـــيسُ في رسمهـــا　　والعـــينُ مـــن عرفانـــهِ تـــدمعُ

ذكـرتُ مـن قـد كنـتُ ألهـو بـه　　فبِـــتُّ والقلـــبُ شـــجاً موجـــعُ

كـــأنَّ بالنّـــارِ لمـــا شـــفّني　　مـــن حـــبِّ أروى كبـــدي تلـــذعُ

عجبـتُ مـن قـومٍ أتـوا أحمـداً　　بخطّـــةٍ لـــيس لهـــا موضـــعُ

قـــالوا لـــهُ لـــو شـــئتَ أعلمتَنـــا　　إلى مـــن الغايـــةُ والمفـــزعُ

إذا توفّيـــــت وفارقتَنـــــا　　وفـــيهُمُ في الملـــكِ مـــن يطمـــعُ

فقـــال لـــو أعلمـــتُكم مفزعـــاً　　كنـــتُم عـــسيتُم فيـــه أن تـــصنعوا

صـنيعَ أهـلِ العجـلِ إذ فـارقوا　　هـــارونَ فـــالتَّركُ لـــه أودعُ

وفي الـــذي قـــال بيـــانٌ لمـــن ... كـــان إذا يعقـــلُ أو يـــسمعُ
ثـــم أتتـــهُ بعـــدَ ذا عزمـــةٌ ... مـــن ربّـــهِ لـــيسَ لهـــا مـــدفع
أبلـــغ و إلاّ لم تكـــن مُبلغـــاً ... والله مـــنهم عاصـــمٌ يمنـــعُ
فعنـــدَها قـــامَ الـــنبيُّ الـــذي ... كـــان بمـــا يـــأمرُهُ يـــصدعُ
يخطـــبُ مـــأموراً وفي كفّـــهِ ... كـــفُّ علـــيٍّ ظـــاهراً تلمـــعُ
رافعَهـــا أكـــرم بكـــفٍّ الـــذي ... يرفـــعُ والكـــفُّ الـــذي يرفـــعُ
يقـــولُ و الأمـــلاكُ مـــن حولِـــهِ ... واللهُ فـــيهم شـــاهدُ يـــسمعُ
مـــن كنـــتُ مـــولاهُ فهـــذا لَـــهُ ... مـــوليً فلـــم يرضَـــوا ولم يقنعُـــوا
فـــاتّهموهُ وحَنَـــت مـــنهُمُ ... علـــى خـــلافِ الـــصّادقِ الأضـــلعُ
و ضـــلّ قـــومٌ غـــاظهم فِعلُـــهُ ... كأنَّمـــا آنـــافُهُم تُجـــدعُ
حتّـــى إذا واروه في قـــبرِهِ ... وانـــصرفوا عـــن دفنِـــهِ ضـــيّعوا
مـــا قـــالَ بـــالأمسِ وأوصـــى بِـــهِ ... واشـــتروا الـــضُّرَّ بمـــا ينفـــعُ
وقطّعـــوا أرحامَـــهُ بعـــدَه ... فـــسوفَ يُجـــزونَ بمـــا قطّعـــوا
وأزمعـــوا غـــدراً بمـــولاهُمُ ... تبّـــاً لمـــا كـــان بِـــهِ أزمعـــوا
لا هُـــم عليـــهِ يـــردُوا حوضَـــهُ ... غـــداً و لا هُـــو فـــيهُمُ يـــشفعُ
حـــوضٌ لَـــهُ مـــا بـــينَ صـــنعا إلى ... أيلـــةَ و العَـــرضُ بِـــهِ أوســـعُ
يُنـــصبُ فيـــهِ علَـــمٌ للهُـــدى ... والحـــوضُ مـــن مـــاءٍ لَـــه مـــترعُ
يَفـــيضُ مـــن رحمتِـــهِ كـــوثرٌ ... أبـــيضَ كالفـــضّةِ أو أنـــصعُ
حـــصاهُ يـــاقوتٌ و مُرجانَـــةٌ ... ولُؤلـــؤٌ لم تَجنِـــهِ إصـــبَعُ
بَطحـــاؤُهُ مـــسكٌ وحافاتُـــهُ ... يهتـــزّ منهـــا مونـــقٌ مُرِبـــعُ

أخـضرَ مـا دونَ الـورى ناضـرٌ ... وفــاقعٌ أصــفرَ أو أنــصعُ
فيـــهِ أبـــاريقٌ و قِدحانُـــهُ ... يــذبُّ عنهــا الرّجُــلُ الأصــلعُ
يــذبُّ عنهــا ابــنُ أبــي طالــب ... ذبّــاً كجربــا إبــلٍ شُــرَّعُ
والعِطــرُ و الرّيحــانُ أنواعُــهُ ... زاكٍ و قــد هبّــت بــه زعــزعُ
ريــحٌ مــن الجنّــةِ مــأمورةٌ ... ذا هبّــةٍ لــيسَ لهــا مرجِــعُ
إذا دنَــوا منــهُ لكــي يــشربوا ... قيــلَ لهــم تبّــاً لكــم فــارجِعوا
دونَكــمُ فالتمــسوا مــنهلاً ... يــرويكُمُ أو مُطعِمــاً يُــشبِعُ
هــذا لمــن والى بــني أحمــدٍ ... ولم يكــن غيرَهُــمُ يتبَــعُ
فــالفوزُ للــشّاربِ مــن حوضِــهِ ... والويــلُ و الــذّلُّ لمــن يُمنــعُ
والنّــاسُ يــومَ الحــشرِ رايــاتُهُم ... خمــسٌ فمنهــا هالــكٌ أربــعُ
ورايـــةٌ يقـــدِمُها حيـــدرٌ ... ووجهُـــهُ كالـــشّمسِ إذ تطلـــعُ
غــداً يُلاقــي المــصطفى حيــدرٌ ... ورايـــةُ الحمـــدِ لـــهُ ترفـــعُ
مــولىً لــهُ الجنّـــةُ مــأمورةٌ ... والنّــارُ مــن إجلالِــهِ تفــزَعُ
إمــامُ صــدقٍ و لــهُ شــيعةٌ ... يُــروَوا مــن الحــوضِ ولم يُمنَعــوا
بــذاكَ جــاءَ الــوحيُ مــن ربّنــا ... يــا شــيعةَ الحــقِّ فــلا تجزعــوا
الحمــيريْ مــادحُكُم لم يــزَل ... ولــو يُقطّــعْ إصــبعٌ إصــبعُ
وبعــدَها صــلّوا علــى المــصطفى ... وصــنوِهِ حيــدرةُ الأصــلعُ(١)

---

(١) راجع بحار الأنوار (٣٢٨/٤٧)، مستدرك الوسائل (٣٩٢/١٠). وقد أسقطتُ من القصيدة أربعة أبيات قبل بيت: "وراية يقدمها حيدرٌ". فمن أرادها فليأخذها من مصدرها.

تائية دعبل العصماء

كانت رائعة الحميري رحمه الله عيّنة فاخرة في المدح، وينبغي لنا أن نختار أفضل عيّنة في الرّثاء، وليس أمامنا إلاّ أن نقف بانحناء أمام التائية العصماء التي أنشدها دعبل بن علي الخزاعي رحمه الله في محضر الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام، فهي محفوفة بعناصر الأهميّة وفيها مختلف المواضيع العقائدية والفكرية والسياسية ذات الصلة بأهل البيت عليهم السلام وهي المثال المحتذى للشعراء الشّيعة.

وربّما وجدنا في تراثنا الأدبي ما يقارب مؤدّى التّائيّة ومستواها، إلاّ أنّ السرّ في خلودها يكمن في قبول الإمام الرّضا عليه السلام لها بعد إنشادها في محضره، علماً بأنّ الإمام عليه السلام لم يكن ليهتم بها كل هذا الإهتمام ويعقد لها مجلساً خاصّاً لولا كونها في رثاء جدّه الحسين عليه السلام وقصد إنشادها هو إسبال الدّموع على مصيبته.

وإذا ما واجهت دعبلاً رحمه الله في قصيدته فإنّك أمام السيرة المأثورة، فقد تنقّل بين مواضيع فكرية وعقائدية متعدّدة وتخلّص إلى ندبة الزّهراء عليها السلام ورثاء الحسين عليه السلام وبارك الإمام الرّضا عليه السلام جهده، وقد بلغ افتتان دعبل بها بعد نيلها إعجاب الإمام أن كتبها على إحرامٍ حجّ فيه وأوصى أن يكون كفنه بعد الموت !!

وإذا رمنا عرض مجلس إنشادها المهيب فلا بدّ أن نصل ما انقطع من روايتين لنستوفي نبأ المنبر الحسيني الذي رقاه دعبل رحمه الله في حضور الإمام عليه السلام.

ففي البحار: عن أبي الصلت الهروي قال: دخل دعبل بن علي الخزاعي على الرضا عليه السلام بمرو، فقال له: يا ابن رسول الله إني قد قلت فيكم قصيدة، وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك. فقال الرضا عليه السلام: هاتها. فأنشد:

تجـــاوَبنَ بالأرنـــانِ و الزّفـــراتِ ... نـــوائحُ عُجـمُ اللفـظِ و النّطقـاتِ

يُخبّـرنَ بالأنفـاسِ عـن سـرٍّ أنفـسٍ ... أُســارى هــوىً مــاضٍ و آخـرَ آتِ

فأسـعدنَ أو أسـعفنَ حتـى تقوّضَـت ... صـفوفُ الـدُّجى بـالفجرِ منهزمـاتِ

علـى العرصـاتِ الخاليـاتِ مـن المهَـا ... سـلامُ شـجٍ صـبٍّ علـى العرصـاتِ

فعهـدي بهـا خُـضرَ المعاهـدِ مألَفـاً ... مـن العَطِـراتِ البـيضِ والخَفِـراتِ

ليـاليَ يُعـدينَ الوصـالَ علـى القِلـى ... ويُعـدي تـدانينا علـى العزَبـاتِ

وإذ هُــنَّ يلحظـنَ العيـونَ سـوافراً ... ويسـتُرنَ بالأيـدي علـى الوجَنـاتِ

وإذ كـلُّ يـومٍ لـي بلحظـيَ نَـشوةٌ ... يبيـتُ بهـا قلـبي علـى نَـشَواتِ

فكـم حـسراتٍ هاجَهـا بمُحـسّرٍ ... وُقـوفيَ يـومَ الجمـعِ مـن عرفـاتِ

أَلم تَـرَ للأيـامِ مـا جـرَّ جورُهـا ... على النّاسِ من نقضٍ وطولِ شتاتِ

ومـن دُولِ المـستهزئينَ ومـن غـدا ... بهـم طالبـاً للنّـورِ في الظّلُمـاتِ

فكيـفَ ومـن أنّـى بطالـبِ زُلفـةٍ ... إلى اللهِ بعـدَ الـصّومِ والـصّلواتِ

سـوى حـبِّ أبنـاءِ الـنبيِّ ورهطِـهِ ... وبغـضِ بـني الزّرقـاءِ والعَـبَلاتِ

وهنـدٍ ومـا أدّت سميّـةُ وابنُهـا ... أولُـو الكُفـرِ في الإسـلامِ و الفَجَـراتِ

هـمُ نقـضُوا عهـدَ الكتـابِ وفرضَـهُ ... ومـحكَمَهُ بـالزّورِ والـشّبهاتِ

ولم تـكُ إلاّ محـنةٌ كـشفتهمُ ... بـدعوى ضـلالٍ مـن هـنٍ وهنـاتِ

تُـراثٌ بـلا قُربـى وملـكٌ بـلا هـدى ... وحكـمٌ بـلا شـورى بغـيرِ هـداةِ

رزايـا أرَتنـا خُـضرةَ الأُفـقِ حُمـرةً ... وردّت أُجاجـاً طعـمَ كـلِّ فُـراتِ

ومـا سـهّلت تلـكَ المـذاهبُ فـيهُمُ ... علـى النّـاسِ إلاّ بيعـةُ الفلَتـاتِ

ومـا قيـلَ أصـحابُ الـسّقيفةِ جهـرةً ... بـدعوى تُـراثٍ في الـضّلالِ نَتـاتِ

ولـو قلّـدوا الموصـى إليـهِ أمورَهـا ... لزُمّـت بمـأمونٍ علـى العَثَـراتِ
أخي خاتمِ الرُّسلِ المُصفّى من القَذى ... ومُفـترسِ الأبطـالَ في الغمَـراتِ
فـإن جَحَـدوا كـان الغـديرُ شـهيدَهُ ... وبـدرٌ و أحـدٌ شـامخُ الهَـضَباتِ
وآيٌ مـن القُـرآنِ تُتلـى بفـضلِهِ ... وإيثـارُهُ بـالقوتِ في اللزبـاتِ
وعِـزُّ خِـلالٍ أدركتـهُ بـسبقِها ... مناقـبُ كانـت فيـه مُؤتنفـاتِ
مناقـبُ لم تُـدرك بخـيرٍ و لم تُنَـل ... بـشيءٍ سـوى حـدّ القنـا الـذّرِباتِ
نجـيٌّ لجبريـلِ الأمـينِ وأنـتُمُ ... عُكـوفٌ علـى العُـزّى معـاً و مَنَـاتِ

❖❖❖

بَكَيـتُ لرسـمِ الـدارِ مـن عرفـاتِ ... وأذريـتُ دمـعَ العـينِ بـالعبراتِ
وبانَ عُرى صبري وهاجـت صبابَتي ... رسـومُ ديـارٍ قـد عفَـت وَعِـراتِ
مـدارسُ آيـاتٍ خلَـت مـن تِـلاوةٍ ... ومنـزلُ وحـيٍ مُقفِـرُ العرَصـاتِ
لآلِ رسـولِ اللهِ بـالخيفِ مـن منـى ... وبالبيـتِ و التّعريـفِ و الجَمَـراتِ
ديـارُ لعبـدِ اللهِ بـالخيفِ مـن منـى ... وللـسيّدِ الـدّاعي إلى الـصّلواتِ
ديـارُ علـيٍّ و الحـسينِ وجعفـرٍ ... وحمـزةَ و الـسّجّادِ ذي الثّفنـاتِ
ديـارٌ لعبـدِ اللهِ و الفـضلِ صِـنوه ... نجـيِّ رسـولِ اللهِ في الخلَـواتِ
وسِـبطَي رسـولِ اللهِ وابنَـي وصـيِّهِ ... ووارثِ علـمِ اللهِ و الحـسناتِ
منـازلُ وحـيِ الله ينـزلُ بينَهـا ... علـى أحمـدَ المـذكورِ في الـصّلواتِ
منـازلُ قـومٍ يُهتَـدى بهُـداهُمُ ... فيُـؤمنُ مـنهم زلّـةُ العَثَـراتِ
منـازلُ كانـت للـصّلاةِ و للتُّقـى ... وللـصّومِ و الـتّطهيرِ و الحـسناتِ
منـازلُ لا تَـيمٌ يَحِـلُّ بربعهـا ... ولا ابـنُ صَـهَاكٍ فاتـكُ الحرمـاتِ

دِيـارٌ عَفَاهـا جـورُ كـلِّ مُنابـذٍ ... ولم تَعـفَ للأيـامِ و الـسّنواتِ
قِفا نَسألُ الـدارَ الـتي خَـفَّ أهلُهـا ... متـى عهـدُها بالـصّومِ و الـصّلواتِ
وأينَ الأُلى شَطّت بهم غُربةُ النّوى ... أفـانينَ في الأقطـارِ مُفترقَـاتِ
هـمُ أهـلُ مـيراثِ الـنّبيِّ إذا اعتـزوا ... وهـم خـيرُ سـاداتٍ و خـيرُ حُمـاةِ
إذا لم نُنـاجِ اللهَ في صَـلواتِنا ... بأسمـائِهم لم يَقبـلِ الـصّلواتِ
مطـاعيمُ للأعـسارِ في كـلِّ مَـشهدٍ ... لقـد شُـرِّفُوا بالفـضلِ و البَركـاتِ
ومـا النّـاسُ إلاّ غاصـبٌ ومُكـذّبٌ ... ومُـضطغنٌ ذو إحنَـةٍ وتِـراتِ
إذا ذكَـروا قتلـى ببـدرٍ وخَيـبرٍ ... ويـومَ حـنينٍ أسـبلوا العـبراتِ
فكيـفَ يُحبّـون الـنبيَّ ورهطَـه ... وهُـم تركـوا أحـشاءَهم وَغِـراتِ
لقـد لاينُـوه في المقـالِ وأضـمَروا ... قُلوبـاً علـى الأحقـادِ منطويـاتِ
فـإن لم يكـن إلاّ بقُربـى مـحمّدٍ ... فهاشـمُ أولى مـن هَـنٍ و هَنـاتِ
سـقَى اللهُ قـبراً بالمدينـةِ غيثَـه ... فقـد حـلّ فيـه الأمـنُ بالبركـاتِ
نـبيُّ الهُـدى صـلّى عليـه مليكُـهُ ... وبلّـغَ عنّـا روحَـهُ التُّحَفـاتِ
وصـلّى عليـهِ اللهُ مـا ذرَّ شـارقٌ ... ولاحـت نجـومُ الليـلِ مُبتـدراتِ
أ فـاطمُ لـو خلـتِ الحسينَ مـجدّلاً ... وقـد مـاتَ عَطـشاناً بـشطِّ فُـراتِ
إذاً لَلَطمـتِ الخـدّ فـاطمُ عنـدَهُ ... وأجريـتِ دمـعَ العـينِ في الوجنـاتِ
أ فاطمُ قـومي يـا ابنـةَ الخيرِ و انـدُبي ... نجـومَ سمـاواتٍ بـأرضِ فَـلاةِ
قبـورٌ بكوفـانٍ و أُخـرى بطيبـةٍ ... وأُخـرى بفـخٍّ نالَهَـا صـلَواتي
وأُخـرى بـأرضِ الجوزَجـانِ مـحلُّها ... وقـبرٌ ببَـاخَمرا لـدى الغَرَبـاتِ
وقـبرٌ ببغـدادٍ لـنفسٍ زكيّـةٍ ... تـضمّنَها الـرّحمنُ في الغرُفـاتِ

وقبرٌ بطوسٍ يا لها من مصيبةٍ ... ألحّت على الأحشاءِ بالزّفراتِ
إلى الحشرِ حتّى يبعثُ اللهُ قائماً ... يفرّجُ عنّا الغمَّ و الكرباتِ
عليُّ بن موسى أرشدَ اللهُ أمرَهُ ... وصلّى عليهِ أفضلَ الصّلواتِ
فأمّا المُمِضّاتُ التي لستُ بالغاً ... مبالغَها منّي بكُنهِ صفاتِ
قُبورٌ ببَطنِ النّهرِ من جنبِ كربلا ... مُعَرَّسُهُم مِنها بشطٍّ فُراتِ
تُوفُّوا عُطاشى بالفراتِ فلَيتني ... تُوفّيتُ فيهِم قبلَ حينِ وَفاتي
إلى اللهِ أشكو لوعةً عندَ ذكرِهم ... سَقَتني بكأسِ الثُّكلِ والفَظَعاتِ
أخافُ بأن أزدارهُم فتَشوقُني ... مصارعُهم بالجزع فالنّخلاتِ
تَغشّاهُم ريبُ المنونِ فما تَرَى ... لهم عقرةٌ مغشيّةٌ الحَجَراتِ
خَلا أنّ منهُم بالمدينةِ عُصبةٌ ... مدينينَ أنضاءٌ من اللزّباتِ
قليلةُ زُوّارٍ سوى أنّ زُوّراً ... من الضّبعِ والعُقبانِ والرَّخماتِ
لهُم كلّ يومٍ تُربةٌ بمضاجعٍ ... ثوَت في نواحي الأرضِ مُفترقاتِ
تنكّبتُ لأواءَ السّنينِ جوارَهم ... ولا تصطليهم جمرةُ الجمراتِ
وقد كان منهم بالحجاز وأرضِها ... مغاويرَ نحّارونَ في الأزماتِ
حِمىً لم تزُره المُذنبات وأوجهٌ ... تُضيءُ لدى الأستارِ والظّلماتِ
إذا وردوا خيلاً بسُمرٍ من القنا ... مساعيرُ حربٍ أقحموا الغمراتِ
فإن فخَروا يوماً أتوا بمحمدٍ ... وجبريلَ و الفرقانِ و السوراتِ
وعدُّوا عليّاً ذا المناقبِ والعُلى ... وفاطمةَ الزّهراءَ خيرَ بناتِ
وحمزةَ و العبّاسَ ذا الهدي والتُّقى ... وجعفراً الطيّارَ في الحُجُباتِ
أولئك لا ملقوحُ هندٍ وحزبِها ... سميةَ من نَوكَى و مِن قذِراتِ

سَتُسأَلُ تَيمٌ عَنهُمُ و عَديُّها ... وبيعتُهم من أفجرِ الفَجَراتِ
هُمُ منعوا الآباءَ عن أخذِ حقهّم ... وهُمُ تركوا الأبناءَ رهنَ شتاتِ
وَهُم عدَلوها عن وصيِّ محمّدٍ ... فبيعتُهم جاءَت عن الغَدَراتِ
ولِيّهمُ صنوُ النّبيِّ محمّدٍ ... أبو الحسنِ الفرّاجُ للغمَراتِ
ملامَك في آل النبيِّ فإنهُم ... أحباي ما داموا و أهلُ ثُقاتي
تخيّرتُهم رُشداً لنفسيَ إنهُم ... على كلِّ حالٍ خيرةُ الخِيَراتِ
نبَذتُ إليهِم بالمودّةِ صادقاً ... وسلّمتُ نفسي طائعاً لوُلاتي
فيا ربِّ زدني في هوايَ بصيرةً ... وزِد حبَّهم يا ربِّ في حسَناتي
سأبكيهُمُ ما حجّ للهِ راكبٌ ... وما ناح قُمريٌّ على الشّجَراتِ
وإنّي لمولاهُم و قالٍ عدوَّهم ... وإني لمحزونٌ بطولِ حياتي
بنفسيَ أنتُم من كُهولٍ و فِتيةٍ ... لفَكِّ عُتاةٍ أو لحملِ دياتِ
وللخيلِ لمّا قيّدَ الموتُ خطوَها ... فأطلقتُمُ منهُنّ بالذّرباتِ
أُحبُّ قصيَّ الرّحمِ من أجلِ حبِّكُم ... وأهجُر فيكُم زوجَتي و بناتي
وأَكتُمُ حُبّيكُم مخافةَ كاشحٍ ... عنيدٍ لأهلِ الحقِّ غيرِ مُواتِ
فيا عينُ بكّيهِم وجودي بعبرة ... فقد آنَ للتسكابِ و الهملاتِ
لقد خفتُ في الدنيا وأيامِ سَعيها ... وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي
ألم ترَ أني مذ ثلاثونَ حجّةً ... أروحُ و أغدو دائمَ الحسراتِ
أرى فيأهم في غيرهِم متقسّماً ... وأيديَهم من فيئهِم صفراتِ
وكيفَ أُداوي من جوىً بيَ والجوى ... أميةُ أهلُ الكفرِ و اللّعناتِ
وآلُ زيادٍ في الحريرِ مصونةٌ ... وآلُ رسولِ اللهِ مُنهتكاتِ

سأبكيهم ما ذرَّ في الأفقِ شارقٌ ... ونادى منادُ الخيرِ بالصّلواتِ
وما طلعت شمسٌ وحان غروبُها ... وبالليلِ أبكيهم و بالغُدُواتِ
ديارُ رسولِ اللهِ أصبحنَ بلقعاً ... وآلُ زيادٍ تسكنُ الحُجُراتِ
وآلُ رسولُ اللهِ تُدمى نُحورُهم ... وآلُ زيادٍ ربّةُ الحَجَلاتِ
وآلُ رسولِ اللهِ يُسبى حريمُهم ... وآلُ زيادٍ آمنوا السَّرِباتِ
إذا وُتِروا مدُّوا إلى واتريهُمُ ... أَكُفّاً عن الأوتارِ مُنقبضاتِ
فَلَولا الذي أرجوهُ في اليومِ أو غدٍ ... تَقَطّعُ نفسي أثرَهُم حَسَراتِ
خروجُ إمامٍ لا محالةَ خارجٌ ... يقومُ على اسمِ اللهِ والبركاتِ
يميّزُ فينا كلَّ حقٍّ وباطلٍ ... و يُجزي على النّعماءِ و النّقِماتِ
فيا نفسُ طيبي ثُمّ يا نفسُ فابشري ... فغيرُ بعيدٍ كلُّ ما هُو آتِ
ولا تجزعي من مُدّةِ الجَورِ إنني ... أرى قُوّتي قد آذنَت بثَباتِ
فيا ربِّ عجّل ما أُؤمّل فيهُمُ ... لأشفيَ نفسي من أسى المِحَناتِ
فإنّ قرّبَ الرحمنُ من تلك مُدّتي ... وأخّر من عُمري و وقتَ وفاتي
شفيتُ ولم أترُك لنفسيَ غُصّةً ... ورَوّيتُ منهُم مِنصَلي وقناتي
فإني من الرّحمنِ أرجو بحبّهم ... حياةً لدى الفِردوسِ غيرَ تَباتي
عسى اللهُ أن يرتاحَ للخلقِ إنّهُ ... إلى كلِّ قومٍ دائمُ اللحظاتِ
فإن قلتَ عُرفاً أنكروهُ بمنكرٍ ... وغطّوا على التّحقيقِ بالشّبُهاتِ
تَقاصرُ نفسي دائماً عن جدالهم ... كفانيَ ما ألقى من العَبَراتِ
أحاولُ نقلَ الصُّمِّ عن مستقرِّها ... وإسماعَ أحجارٍ من الصّلداتِ
فحَسبيَ منهُم أن أبوءَ بغَصّةٍ ... تردّدُ في صدري و في لَهَواتي

فمِـن عـارفٍ لم ينتفـع ومُعانـدٍ تميـلُ بـهِ الأهـواءُ للـشّهواتِ
كأنّـك بالأضـلاعِ قـد ضـاقَ ذرعُهـا لِمَـا حُمّلَـت مـن شـدّةِ الزّفَـراتِ[1]

وأظنّ أن دعبلاً لم ينشدها كاملة في حضرة الإمام عليه السلام، فقد أعرض عن التشبيب الذي يتقدّم الرّثاء إجلالاً لمجلس الإمام عليه السلام، وهذا مروي في كتب الأدب، والأحرى أن يكون بدأها من قوله: " مدارس آيات " كما هو مفصّل في الرواية القادمة التي تبيّن ردّة فعل الإمام عليه السلام.

فقد روى الشيخ الصدوق رحمه الله في عيون أخبار الرّضا عليه السلام بالإسناد إلى الهروي قال: دخل دعبل بن علي الخزاعي رحمه الله على أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام بمرو، فقال له: يا ابن رسول الله، إني قد قلت فيك قصيدة، وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك. فقال عليه السلام: هاتها فأنشده.

مـدارسُ آيـاتٍ خلَـت عـن تـلاوةٍ ومنـزلُ وحـيٍ مُقفِـرُ العرَصـاتِ

فلمّا بلغ إلى قوله:

أرى فيـئَهُم في غيرهـم مُتقـسّماً وأيـديَهم مـن فيـئهِم صـفراتِ

فلمّا بلغ إلى قوله هذا بكى أبو الحسن الرضا عليه السلام وقال له: صدقت يا خزاعي.. فلمّا بلغ إلى قوله:

إذا وُتـروا مـدّوا إلى واتـريهُمُ أكفّـا عـن الأوتـارِ مُنقبـضاتِ

جعل أبو الحسن عليه السلام يقلّب كفيه، ويقول: أجل والله، منقبضات.

---

(١) راجع كشف الغمّة (٢/٣٢٧)، والعدد القويّة ص (٢٩١)، وبحار الأنوار (٤٩/٢٥١)، وتجد القصيدة محقّقة ومقابلة بنسخها في ديوان دعبل بن علي رحمه الله المطبوع بتحقيق الدّجيلي.

فلمّا بلغ إلى قوله:

لقد خفتُ في الدّنيا وأيام سعيها   وإنّي لأرجو الأمنَ بعدَ وفاتي

قال الرضا عليه السلام: آمنك الله يوم الفزع الأكبر. فلمّا انتهى إلى قوله:

وقبرٌ ببغدادٍ لنفسٍ زكيّةٍ   تضمّنها الرّحمنُ في الغُرُفاتِ

قال له الرضا عليه السلام: أ فلا ألحق لك بهذا الموضع بيتين بهما تمام قصيدتك؟

فقال: بلى يا ابن رسول الله!! فقال عليه السلام:

وقبرٌ بطوسٍ يا لها من مصيبةٍ   توقّدُ بالأحشاءِ في الحُرُقاتِ

إلى الحشرِ حتّى يبعثُ اللهُ قائماً   يُفرّجُ عنّا الهمَّ والكرباتِ

فقال دعبل: يا ابن رسول الله، هذا القبر الذي بطوس قبر من هو؟ فقال الرضا عليه السلام: قبري، ولا تنقضي الأيام والليالي حتى يصير طوس مختلف شيعتي وزوّاري، ألا فمن زارني في غربتي بطوس كان معي في درجتي يوم القيامة مغفوراً له..

ثم نهض الرضا عليه السلام بعد فراغ دعبل من إنشاد القصيدة، وأمره أن لا يبرح من موضعه ودخل الدار، فلمّا كان بعد ساعة خرج الخادم إليه بمئة دينار رضويّة، فقال له: يقول لك مولاي اجعلها في نفقتك، فقال دعبل: والله ما لهذا جئت، ولا قلت هذه القصيدة طمعاً في شيء يصل إليّ، وردّ الصّرة وسأل ثوباً من ثياب الرضا ليتبرك به ويتشرف به، فأنفذ إليه الرضا عليه السلام جبّة خز مع الصرة، وقال للخادم: قل له خذ هذه الصّرة، فإنك ستحتاج إليها، ولا تراجعني فيها[1].

---

(١) راجع عيون أخبار الرضا (٢/٢٦٤)، وكمال الدين (٢/٢٦٤)، وإعلام الورى ص ص

الحث على الشعر والإنشاد

ترادفت النّصوص الذهبيّة عنهم عليهم السلام في باب بناء أبيات الشعر فيهم بما يكفي لعدّها عبادة مهمّة استحبّها الدّين، حتّى بلغت حدّ التّواتر المعنوي..

١. روى الشيخ الصّدوق رحمه الله عن الإمام الصّادق عليه السلام أنه قال: "من قال فينا بيت شعر بنى الله تعالى له بيتا في الجنّة "[١].

٢. وروي عن الإمام الصادق عليه السلام: "ما قال فينا قائل بيت شعر حتى يؤيّد بروح القدس "[٢].

٣. وروي عن مولانا الإمام الرضا عليه السلام: "ما قال فينا مؤمن شعراً يمدحنا به إلاّ بنى الله له مدينة في الجنّة، أوسع من الدّنيا سبع مرّات، يزوره فيها كل ملك مقرب، وكل نبي مرسل "[٣].

٤. فعن الكميت بن زيد الأسدي، قال: دخلت على أبي جعفر عليه السلام فقال: واللّه يا كميت لو كان عندنا مال لأعطيناك منه، ولكن لك ما قال رسول اللّه

---

(٣٣٠)، وبحار الأنوار (٤٩/ ٢٣٩). وللخبر تتمة مطوّلة في بيان الأحداث التي مرّ بها شاعرنا رحمه الله في طريق عودته إلى محلّ إقامته.

(١) راجع عيون أخبار الرضا (١/ ٧)، عنه بحار الأنوار (٢٦/ ٢٣١/ ٣)، وراجع أسرار الشهادة بتحقيقنا (١/ ١٦٣).

(٢) راجع عيون أخبار الرضا (١/ ٧)، عنه بحار الأنوار (٢٦/ ٢٣١/ ٤)، رجال الكشي ص (٢٥٤)، الغدير (٢/ ٣)، وراجع أسرار الشهادة بتحقيقنا (١/ ١٦٣).

(٣) راجع عيون أخبار الرضا (١/ ٧)، عنه بحار الأنوار (٢٦/ ٢٣١/ ٥)، وراجع أسرار الشهادة بتحقيقنا (١/ ١٦٣).

ﷺ لحسّان بن ثابت: لن يزال معك روح القدس ما ذببت عنّا[1].

شعيرة التمثيل

ومن الشعائر الملحقة بالشعر شعيرة التمثيل، لكونها من سنخها من حيث التصوير، وقد أصبح التمثيل من المظاهر التي لا تنفك عن تجديد ذكرى عاشوراء، وأضحت التشابيه جزءً لا يتجزّأ من الشّعائر الحسينية، وألفت الشيعة هذا النشاط في مواسم الحزن، وارتبطت به في بعض البلاد حتّى صار نشاطها الرئيسي في العشرة الأولى من المحرّم..

ولا تزال هذه الشّعيرة تتصدّر الشّعائر في المدن والقُرى الإيرانيّة، ولا زالت ظاهرة قويّة في العراق والبحرين وبعض دول الخليج العربي، ويبدو أنّ هذه الشعيرة هي الرائدة حالياً عند شيعة تركيا.

وسواء عنينا بذلك العرض المسرحي في موضع محدود، الذي يأخذ طريقة الفصول المتعدّدة، أو التمثيل المتجوّل الذي يجوب الشّوارع، الذي يُكتفى فيه بالمظاهر المعبّرة والمشاهد المقتضبة، أو اللقطات الجزئيّة التي تُعرض أثناء الخطابة والمجلس الحسيني..

فهي كلّها نشاطات راجحة وداخلة ضمن مفهوم العزاء العام على الإمام الحسين عليه السلام، وفي مشاهدها وفصولها يتم تصوير وتقريب الأحداث الغابرة

---

(١) راجع أصول الكافي (١٠٢/٨)، ورجال الكشي ص (٢٠٧)، وبحار الأنوار (٢٦٦/٣٠ و ٣٤١/٤٦ و ٣٢٤/٤٧) ووسائل الشيعة (٥٩٤/١٤).

بوسيلة التمثيل وعرضها بأسلوب فنّي رائع.

فالرواية التمثيليّة عظيمة الأهميّة في سائر الحضارات ، إلاّ أنّها لم تدخل إلاّ قريباً في دنيا العرب ، إذ لم يكن لهم همّة في هذا المجال ، ولم يعرفوه إلاّ قبل منتصف القرن التاسع عشر ، وربّما بعد ذلك ، وانتهى جرجي زيدان إلى أنّ التمدّن الإسلامي خال من التمثيل إلاّ ما كان فيه من قبيل الشعائر الدينيّة كتمثيل قتل الحسين عليه السلام عند الشيعة (١).

ومختصر ما قاله زيدان : وكان الشّيعة في بلاد فارس يقومون بتمثيل مقتل الحسين عليه السلام في كربلاء على المراسح في عاشوراء ، وتبدأ هذه الرّواية بيوم خروج الحسين عليه السلام من مكّة وتنتهي بقتله ، أو هو الفصل الأخير منها ويسمّونها " روز قتل " أي يوم المقتل ، فهذا الفصل يمثّلونه يوم عاشوراء بحضور الشّاه ورجال دولته في ساحة كبيرة فيشخّصون الحسين عليه السلام وشمر والعبّاس عليه السلام وجعفر وزينب وسكينة وكلثوم وليلى وعمر بن سعد وغيرهم ، وكيفية الواقعة من أوّل النّهار إلى آخره ومقتل الحسين عليه السلام وأصحابه.

يفعلون ذلك في ساحة ينصبون فيها الخيام ، عليها شارات الحداد ، فيقوم شيخ يقرأ على النّاس حكاية مقتل الحسين عليه السلام بنغم محزن ، ولا يكاد يبدأ القراءة حتى تهيج عواطف السّامعين فيبكون وينبدبون وينوحون ، فيطوف عليهم شيخ بقطنة يلتقط دموعهم ثم يعصرها في قارورة تحفظ بها للإستشفاء ، وقد وصف ذلك

---

(١) راجع مقال " المظاهر المسرحيّة عند العرب " الدكتور أحمد عُلبي ، المطبوع ضمن كتاب العربي (١٨) المقال (٢) سنة ١٩٨٨ م ، وقال : وهذا رأي نقرّ بوجاهته.

الإحتفال الرّحّالة " موريه " في رحلته الثّانية إلى فارس سنة ١٨١١ هـ[(١)].

والظّاهر أنّ تمثيل موقعة كربلاء لم يبدأ إلاّ في القرن السادس عشر الميلادي في إيران الصّفوية، وينسب التراث الشعبي الفارسي نشأته إلى الشاه " إسماعيل الصفوي " ثم شجّع الشاه " عباس الصّفوي " هذه الشعيرة. ثمّ تابع حكّام فارس القاجاريّون تقليد تمثيل موقعة كربلاء، وفي عهد أول شاه قاجاري " الآغا محمد خان " أصدر الفقهاء وعلى رأسهم الفقيه الفاضل القمي رحمه الله فتوى تشريعه.

وقد تخطّى الشّيعة كلّ العقبات ووظّفوا جميع فنونهم وإمكانيّتهم وخصائص بيئاتهم التّراثية لرفع اسم الحسين عليه السلام والتصدّي لهذا الشّعار، حتّى تمكّنوا من تطوير هذه الحركة الفنيّة شيئاً فشيئاً فنمّت مؤخّراً عن ظهور أفلام عصريّة تحاول نقل فصول الحدث بوقائعه وأحزانه، إلاّ أنّي أتمنّى أن تكون هذه الأفلام أكثر ضبطاً للنصّ ودقّة، وأن ترقى بمستواها لتنافس أرقى أفلام العصر، وبذلك تكون الشّيعة قد أدّت دورها المطلوب من خلال هذه الشّعيرة المهمّة.

ولا يمكن تحريم التمثيل الحسيني مع وجود قاعدة أصالة الإباحة، ولم يرد في الشّريعة دليل يمنع عنه، وهو داخلٌ في مدلولات العمومات الكثيرة الحاثّة على إقامة الشّعائر الحسينيّة، من قبيل عموم " من بكى وأبكى وتباكى " و " أحيوا

---

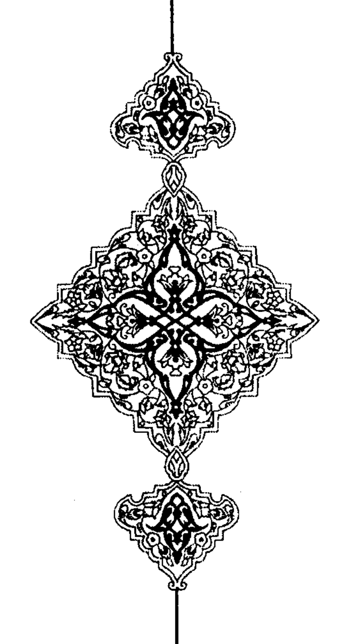
(١) راجع تاريخ آداب اللغة العربيّة لجرجي زيدان ج (١٤) من مجموعة مؤلّفاته الكاملة ص (١٥٤) طبع سنة ١٩٨٢ م، وعندي نسخة من كتابه طبع ١٩١٢ م وفيها صورة نادرة للتمثيل الحسيني في إيران، وهي ليست في الطّبعة الجديدة المتداولة. وتجد ذكريات الرّحالة " موريه " في رحلته الثّانية إلى فارس سنة ١٨١١ م في مجلّة الهلال المصريّة، السنة (١٨) ج (٨) ص (٤٦٦) أيار ١٩١٠ م، وفيها وصف الإحتفال بشكل يحرّك المشاعر ويهزّ الأفئدة.

أمرنا"، ويمكن أن يُستفاد من عمل أسرة الإمام الصّادق عليه السلام حين أنفذوا رضيعاً للإمام عليه السلام وهو في مجلس المأتم تشبيهاً له برضيع الحسين عليه السلام، كما في الرّواية التي نقلها المرحوم الدّربندي رحمه الله في أسرار الشّهادة.

فلا كلام فيها من النّاحية الشّرعية، ويكفي كونها صارت ظاهرة من ظواهر الشّيعة في كثير من بلدانهم في عاشوراء لإثبات كونها من الشّعائر، إلاّ أنّ العلماء نبّهوا على حسّاسيّة التمثيل من جهات ينبغي مراعاة الحيطة فيها، كحفظ الموازين الدّقيقة في اختيار الأخيار والمؤمنين للقيام بأدوار الشخصيّات المقدّسة لأهل البيت عليهم السلام، وكذلك حفظ صورة الحدث من الخدش أو التشويه.

الشعيرة الخامسة

الزيارة





الزيــارة

رفع الله تعالى بيوت آل محمّد صلى الله عليه وآله وجعلها قبلة القلوب والأفئدة، وجعل قبورهم مطاف المحبّين المؤمنين ، ومن كرامة الشيعة على الله سبحانه أن فتح الأئمة عليهم السلام لهم باب زيارة بيوتهم المرفوعة والتبرّك بآثارهم فيها، حتّى صارت الزّيارة من شعائر الدّين المهمّة ، وخصوصاً زيارة الإمام الحسين عليه السلام فقد ورد في فضلها ما لم يرد في حقّ أيّ عبادة من العبادات.

وقد ورد مضمون زيارة القبور في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللهَ تَوَّاباً رَحِيماً**﴾.

وكان المذنبون يأتونه صلى الله عليه وآله في حياته ويطلبون منه الإستغفار والشّفاعة، وكان يستغفر لهم، والآية ظاهرة في تكريمه صلى الله عليه وآله من هذه الجهة، ولا يمنع شيء من سريان هذه الخصوصية فيه صلى الله عليه وآله بعد رحيله، وقد قامت سيرة المسلمين على إتيان قبره وزيارته والإستغفار عنده وطلب الشّفاعة بين يديه.

أمّا النّصوص الواردة في زيارة النّبي صلى الله عليه وآله للقبور فهي مستفيضة، وتتفاوت عناوينها بين المشروعية والإستحباب، وهي مدعومة بفعل النبي صلى الله عليه وآله وقوله، والمعلوم أنّ الأصل في الأشياء الإباحة وليس الحضر، وقد أبيحت زيارة القبور إستمراراً لما عليه الشرائع السّابقة، كما هو واضح في قصّة أصحاب الكهف.

أمّا ما ورد في كتب أهل السنّة ممّا يدلّ على حضر الزيارة فهو دال على الإباحة

بعد حضرها ، من قبيل ما أخرج مسلم من قوله ﷺ : كنتُ نهيتُكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها[١]. وفي علّة الحضر يروى عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : " نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها، ولا تقولوا هُجْراً "[٢].

وروي أنّ النّبي ﷺ قال : " كنت نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها فإنها ترق القلوب وتدمع العين وتذكر الآخرة، ولا تقولوا هجراً "[٣].

وطالما تاقت نفسه إلى زيارة قبر أمّه رضي الله عنها فاستأذن الله تعالى في زيارة قبرها فإذن له، فإنّ النّفوس السّليمة تشتاق لصلة الأحبة أحياءً وأمواتاً..

وروي عن عائشة أن النبي ﷺ قال لها : أتاني جبرائيل فقال : إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم، قالت : قلت : كيف أقول لهم يا رسول الله ؟ قال : قولي : السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ورحم الله المستقدمين منّا والمستأخرين، وإنّا إن شاء الله بكم لاحقون[٤].

وقد قامت سيرة المسلمين على زيارة قبر النبي ﷺ ، فروى السمعاني عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أن أعرابياً جاء بعد ثلاثة أيام من دفن رسول الله

---

(١) راجع صحيح مسلم، كتاب الجنائز (٢/٣٦٦/١٠٧)، وسنن الترمذي (٣/٣٧٠/١٥٠٤)، والسنن الكبرى للنسائي (١/٦٥٣/٢١٥٩)، والمستدرك للحاكم النيسابوري (١/٥٣٠/١٣٨٥)، ومصابيح السنّة (١/٥٦٨/١٢٣٩).

(٢) راجع المعجم الكبير للطبراني (١١/٢٠٢/١١٦٥٣)، والمعجم الأوسط (٣/٣٤٣/٢٧٣٠)، ومجمع الزوائد للهيثمي (٣/٥٨).

(٣) رواه المتقي الهندي في كنز العمال ج (١٥) ح (٤٢٥٥٥ و ٤٢٩٩٨).

(٤) راجع صحيح مسلم (٧/٤٤)، وسنن النسائي (٤/٩١).

ﷺ فرمى بنفسه على القبر الشريف وحثا من ترابه على رأسه وقال: يا رسول الله قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله ما وعينا عنك، وكان فيما أنزله عليك: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ وقد ظلمت نفسي وجئتك تستغفر لي إلى ربي[1].

وهذا تكريم له ﷺ يسري إلى فلذات أكباده الأطهار عليهم السلام ، وقد قال ﷺ : " إنّما يُكرم المرء في ولده " خصوصاً وهم خلفاؤه وامتداده ، ودلّت التجربة على كونهم الحصن لمن التجأ إليهم والوسيلة لقضاء الحاجات.

ووصفت النصوص أعظم الثواب على زيارتهم ، واحتل الإمام الحسين عليه السلام من بينهم منزلة خاصّة من هذه الجهة ، فزيارته مفضّلة على زيارة الجميع ، لخصوصيّة الإمام الحسين عليه السلام في فضله ومصيبته ، فقد عوّضه الله عن شهادته بأن جعل قلوب الشيعة تهوي إليه من كلّ حدب وصوب.

كربلاء المقدسة

لعبير الشّهادة الفوّاح أريجٌ متألّق على مسرح الحدث الدّامي ، ولدماء العترة الطّاهرة هيمنة على المشاعر ، لا سيّما إذا كان في محيط المصرع الشّامخ ، والبقعة التي شرّفها سيّد الشّهداء عليه السلام بمهجته المراقة ، والتي راح يلتقطها جدّه ﷺ من طفّ كربلاء صاعداً بها إلى السّماء ، والتي قد خشعت لها أظلّة العرش !!

فمن كربلاء المقدّسة وشاطيء الطّف الإنطلاقة ، ومنها سرّ البقاء والخلود ،

---

(١) راجع الجوهر المنظم لابن حجر ، وذكره السمهودي في وفاء الوفا (٢/٦١٢)، وزيني دحلان في الدرر السنية ص (٢١).

وفيها حرارة الدّمعة، وفيها يكمن سرّ الحزن والأسى، وفي ذلك قال رسول الله ﷺ: " إنّ لقتل الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تبردُ أبداً "(١).

ويلمس المحبّون الزّائرون في وقوفهم على ذلك الصّرح المهيب جذبة قدسيّة خاصة، فهي التربة التي تشرّفت بجسد خامس أصحاب الكساء فطابت وزكت، ولا زالت تعبق بالكرامة ممزوجة بروح النبوّة والإمامة.

إمام الهدى سبط النبوة والد الـ	ـأئمة رب النهي مولى له الأمر
أبوه الإمام المرتضى علمُ الهدى	وصي رسول الله والصنو والصهر
إمامٌ بكته الإنس والجن والسما	ووحش الفلا والطير والبر والبحر
له القبَّة البيضاء في الطف لم تزل	يطوف بها حزناً ملائكة غُرٌّ
له تربةٌ فيها الشفاء وقبةٌ	يجاب بها الداعي إذا مسه الضرُ
وذرية دريَّة منه تسعة	أئمة حقٍ لا ثمان ولا عشر
أيقتل ظمآن حسين بكربلا	وفي كل عضو من أنامله بحر
ووالده الساقي على الحوض في غد	وفاطمة ماء الفرات لها مهر

فهذا قبره عليه السلام الدّامي، مقطوع الوريد، محزوز الرّأس، مرضوض الصّدر، وهذا خنصره المقطوع. وهذا رضيعه الملطّخ بالدّماء على صدره، وهذا إبنه علي الأكبر عليه السلام المقطّع بضربات السيوف وطعنات الرّماح عند رجليه.

فإذا وقفت على الرّخامة الحمراء فأنتَ ممّا يلي رأسه الشريف. أو لِنَقُل منحره الشّريف. وإذا واجهت شبّاكه الفضّي رأيت الجلال والعظمة والكبرياء والشّمم

(١) راجع مستدرك الوسائل (١٠/٣١٨).

بأجلى صوره وأروعه. فإذا طفت بالضريح الأطهر قرأت عليه نقش الخلود مخطوطاً برائعة الجواهري:

فداءً لمثواك من مضجع ... تنوّر بالأبلج الأروع
بأعبق من نفحات الجنا ... نِ روحاً ومن مسكها أضوع
ورعياً ليومك يوم الطفوف ... وسقياً لأرضك من مصرع
وحزناً عليك بحبس النّفوس ... على نهجك النيّر المهيع
وصوناً لمجدك من أن يُذال ... بما أنت تأباه من مُبدع
فيا أيّها الوتر في الخالدين ... فذّاً إلى الآن لم يُشفع
ويا عظة الطّامحين العظام ... للاهين عن غدهم قُنّع
تعاليتَ من مفزعٍ للحتوف ... فبوركَ قبرك من مفزع
تلوذ الدّهور فمن سُجّدٍ ... على جانبيهِ ومن رُكّع
شممت ثراك فهبّ النسيم ... نسيمُ الكرامة من بلقع
وعفّرتُ خدّي بحيث استراح ... خدٌّ تفرّى ولم يضرع
وحيثُ سنابك خيل الطّغاة ... جالت عليه ولم يخشع
وخلتُ وقد طارت الذكريات ... بروحي إلى عالمٍ أرفع
وطفتُ بقبرك طوف الخيال ... بصومعة الملهم المُبدع
كأنّ يداً من وراء الضريح ... حمراء مقطوعة الإصبع
تمدّ إلى عالم بالخنوع ... والضيم ذي شرَق مُترع
لتبدل منه جديبَ الضمير ... بآخرَ مُعشوشبٍ ممرع

وإذا ملتَ إلى جهة رجليه الشّريفتين فإنّك ماثلٌ مقابل أبطال تلك المعركة

الكريمة، ومواجهةُ الضّريح الموحّد الأشرف الذي يضمّ عموم أهل بيته وأنصاره عليه السلام المستشهدين بين يديه. وفيه إخوته الأوفياء، وأولاده الغرّ، وبنو أخيه النّجباء، وبنو عمّه الأبرار، وأصحابه جميعاً. فهم على مقربة منه.

قد جاوروه هاهنا بقبورهم ... وقصورهم يوم الجزا متحاذيه

فإذا غادرتَ الرّوضة الحسينية من جهة القبلة واجهت على ميمنتك قبر حبيب بن مظاهر الأسدي، فإنّه بوّابه المدفون إلى جواره منفرداً. فإذا حاذيته فأنّك بإزاء حجرة المنحر الدّامي، والبقعة التي قد باشر فيها الشّمر بن ذي الجوشن ذبحه !!

فإذا ما التفتّ عن ميمنتك وليس بالبعيد عن الحرم الشّريف فإنّك مواجهةٌ قبلة الأحزان ومركز الأنين والحنين، حيث يقع التلّ الزّينبي الحزين، الذي وقفت عليه ربيبة الخدر زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك اليوم الأسود، واستغاثت بأخيها الصّريع عليه السلام ووجّهت له النّداء الأخير، وقد حال السّهم المثلّث بينها وبينه.

فإذا تمثّلت ذلك في خاطرك واستحضرت أصوات النساء والأطفال وهم يستغيثون في يوم كَثُر واترُه وقلّ ناصرُه لزمك الوقوف على بيوت أهل البيت عليهم السلام الحزينة ومعسكرهم الخالي الكئيب. فإذا مشيتَ قبلة التلّ قابلك المخيّم وبيوت الأرامل والثّكالى، التي أحرقتها عساكر بني أميّة واستباحتها ظهيرة عاشوراء.

وإذا ما لمحتَ بطرفك الحرم الحسيني الشّامخ لَمَعَت أمامك قبّة ذهبيّة شمّاء تحاكي قبّة المولى عليه السلام، ولاح بين يديك حرمٌ مهيب يحاكي حرم المولى عليه السلام هيبةً ونوراً وجلالاً. إلاّ أن منارتي حرم المولى عليه السلام من الذّهب.

تسامت قبّة نوراء شبّت ... كنار قرىً تدلّ على مضيف

تُغالبُ بالسّنا وهجَ الثريّا ... وترمي الشمس داهية الكسوف

وترمــق قبّــة العبّــاس دومــاً ... لجارتهــا علــى خجــلٍ لطيــف
تعــاين قبــة المــولى حــسينٍ ... وتهمـس نحوهـا همـس الظريـف
وتقتــبس الــضيا منهــا منــاراً ... ولــيس بنافــذ جــودُ الــشّفوف
بــيُمن إمامــه انبــسطت يــداه ... وأغـرق جـوده جـودَ العَطـوف

فإذا مشيتَ إلى ذلك الحرم المهيب وقطعتَ مقدار المسافة التي يبتعد فيها الصّفاعن المروة فإنّك بين يدي عميد عسكر المولى عليه السلام ومجمع عدده وأخيه أبي الفضل العبّاس بن أمير المؤمنين عليه السلام. فهو الذي اختار البقاء على نهر العلقمي، ليكون الأقرب إلى مشرعة الفرات، فهو ساقي عطاشى كربلاء إلى الأبد !!

فإذا دخلتَ حرمه الأمنع وواجهت ضريحه الأغر اجتذبتك روحٌ عملاقة إلى صميم الجود والفضيلة، وشعرت بهيبة شمّاء، وشموخ يرقى على عالم الدّنيا، وحيّتك يدٌ كريمة معطاءة، فأنت ماثلٌ أمام باب الحوائج، وإذا طفتَ شبّاكه الفضّي البهي قرأت عليه نقش الشّموخ والفضيلة، وقد كُتب عليه:

ضــــريحك مفزعنــــا الأمنــــعُ ... بــــه كــــلّ نازلــــة تــــدفع
وبابــك للخلــق بــاب النجــاة ... تلــــوذ بعزّتــــه الــــروّع
أبـا الفـضل والفـضل ينمـى إليـك ... فأنــــت لألطافــــه منبــــع
ويــا بطــل الطــفّ هــذا لــواك ... علــى كــلّ شــاهقة يرفــع
وهــــذا حــــسامك أنــــشودة ... بهــا ينتــشي البطــل الأروع
وجـودك والـسهم قـد شـكّ فيـه ... شــعارٌ لعليائــه يخــشع
وكفّــاك مقطوعتــا نعمــة ... بهــا كــلّ مكرمــة تــسجع
ورأســك يرفــع فــوق القنــا ... هــو الــشّمس في أفقهــا تــسطع

تعاليت من مجمع للجلال	غوالي الجمال به تجمع
وقدّست من شاهد للإخاء	بذكراه أدمعنا تهمع
ضريحك كعبة وفد الولاء	إليه قوافله تسرع
لشيعتكم فيه يعلو الأنين	لكم وتسيل به الأدمع

فإذا انصرفت من زيارته فاخرج من حرمه ممّا يلي رجليه الشّريفتين لتقف على مقامي كفيّه الشريفتين، وإذا وقفت عليهما. فإنّك لستَ بالبعيد عن نهر الفرات الذي قُتل كلّ هؤلاء السّادة المظلومون عليهم السلام بجواره، ولم يذوقوا منه قطرة، وهو مع هذا لا يزال يجري كما تجري الدّموع بجوار تلك القبور ليلاً ونهاراً.

فأيّ مأساة أكبر من هذه المأساة !! وأي رزيّة أعظم من هذه الرزيّة !! وأيّ مصيبة أعظم من هذه المصيبة !!

وبالوقوف على تلك الصّروح يوطّن الإنسان نفسه على العطاء والبذل والمواساة والإلتزام الدّيني، وبه يعرف قيمة الدّين والكتاب والمقدّسات التي قيّمها سيّد الشّهداء عليه السلام بنفسه الطّاهرة ونفوس أهل بيته وأصحابه البررة.

ولهذا فإنّ الأئمة من أهل البيت عليهم السلام لم يعذروا أحداً في ترك زيارته، وجاءت ألفاظهم توحي بالوجوب، بل تقطع به، وترجّحه على العبادات العظيمة الواجبة، وقد أفتى بعض الأعلام من المحدّثين بوجوب زيارته عليه السلام في العُمر مرّة، وحمل عامّة الفقهاء تلك الأخبار على الإستحباب المؤكّد.

ثواب زيارة الحسين

لن أفي بهذه العجالة موضوع الزّيارة قطعاً، ولابدّ من وقفة سريعة على نُخَبٍ

من الرّوايات التي نقلها الأعلام في مصنّفاتهم ، فالمرويّات في باب الزيارة بلغت حدّاً يصعب استيفاؤها فعلاً.

١. روي عن محمّد بن مروان عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : سمعته يقول : " زوروا الحسين ولو كل سنة ، فإن كل من أتاه عارفاً بحقه غير جاحد لم يكن له عوض غير الجنّة ، ورزق رزقاً واسعاً ، وأتاه الله بفرج عاجل ، إن الله وكلّ بقبر الحسين أربعة آلاف ملك كلهم يبكونه ويشيّعون من زاره إلى أهله ، فإن مرض عادوه ، وإن مات حضروا جنازته بالإستغفار له والترحّم عليه "[1].

٢. وروي عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل ، قلت : جعلت فداك ما تقول فيمن ترك زيارته وهو يقدر على ذلك ؟

قال : " أقول إنه قد عق رسول الله صلى الله عليه وآله وعقنا واستخف بأمر هوله ، ومن زاره كان الله من وراء حوائجه ، وكفى ما أهمه من أمر دنياه ، وإنه ليجلب الرزق على العبد ، ويخلف عليه ما أنفق ، ويغفر له ذنوب خمسين سنة ، ويرجع إلى أهله وما عليه وزر ولا خطيئة إلاّ وقد محيت من صحيفته.

فإن هلك في سفره نزلت الملائكة فغسلته ، وفتح له باب إلى الجنّة يدخل عليها روحها حتى ينشر ، وإن سلّم فتح له الباب الذي ينزل منه الرّزق ، ويجعل له بكل درهم أنفقه عشرة آلاف درهم وذخر ذلك له ، فإذا حشر قيل له : لك بكل درهم عشرة آلاف درهم ، وإن الله نظر لك وذخرها لك عنده "[2].

---

(١) راجع كامل الزيارات ص (٨٦)، وبحار الأنوار (٩٨/٢).

(٢) راجع كامل الزيارات ص (١٢٨)، ووسائل الشيعة (١٤/٤٨١)، وبحار الأنوار (٤٥/١٧٢).

٣. وروي عن عبد الرحمن بن كثير مولى أبي جعفر قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: " لو أن أحدكم حج دهره ثم لم يزر الحسين بن علي عليه السلام لكان تاركاً حقاً من حقوق رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّ حقّ الحسين عليه السلام فريضة من الله، واجبة على كل مسلم "(١).

٤. وروي عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: " من أراد أن يعلم أنه من أهل الجنّة فليعرض حبّنا على قلبه، فإن قبله فهو مؤمن، ومن كان لنا محبّاً فليرغب في زيارة قبر الحسين عليه السلام، فمن كان للحسين عليه السلام زوّاراً عرفناه بالحب لنا أهل البيت، وكان من أهل الجنّة، ومن لم يكن للحسين عليه السلام زوّاراً كان ناقص الإيمان "(٢).

٥. وروي عن أبان بن تغلب قال: قال لي جعفر بن محمّد عليه السلام: يا أبان متى عهدك بقبر الحسين عليه السلام؟ قلت: لا والله يا ابن رسول الله، ما لي به عهد منذ حين. قال عليه السلام: " سبحان ربّي العظيم وبحمده، وأنت من رؤساء الشّيعة، تترك الحسين لا تزوره!! من زار الحسين كتب الله له بكل خطوة حسنة، ومحي عنه بكل خطوة سيئة، وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. يا أبان بن تغلب لقد قتل الحسين صلوات الله عليه فهبط على قبره سبعون ألف ملك شعث غبر يبكون عليه وينوحون عليه إلى يوم القيامة "(٣).

---

(١) راجع كامل الزيارات ص (١٢٢)، وبحار الأنوار (٩٨/٣)، وكتاب المزار ص (٢٧)، وتهذيب الأحكام (٦/٤٢)، ووسائل الشيعة (١٤/٤٢٨).

(٢) راجع كامل الزيارات ص (١٩٣)، وبحار الأنوار (٩٨/٤)، ووسائل الشيعة (١٤/٤٣٢).

(٣) راجع كامل الزيارات ص (٣٣١)، وبحار الأنوار (٩٨/٧)، ومستدرك الوسائل (١٠/٢٥٧).

٦. وفيه بسنده إلى محمد بن مسلم قال: قال لي أبو جعفر محمد بن علي عليه السلام: هل تأت قبر الحسين عليه السلام؟ قلت: نعم، على خوف ووجل، فقال: ما كان من هذا أشد فالثواب فيه على قدر الخوف، ومن خاف في إتيانه أمن الله روعته يوم القيامة، يوم يقوم الناس لرب العالمين، وانصرف بالمغفرة وسلّمت عليه الملائكة، وزاره النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعا له وانقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء، واتبع رضوان الله[1].

كل هذا الثواب !!

السؤال: كيف تكون عبادة مثل البكاء على الحسين عليه السلام لها كلّ هذا الفضل والثواب !! أم كيف يكون مستحب كالزّيارة أفضل من واجب ركن كالحج !!

التّفاضل بين العبادات يأبى القياس أصلاً، ولا يثبت تفاوته إلاّ بالدّليل الشّرعي، ودلّ النصّ على أنّ السّلام مستحبّ والردّ عليه واجب !! بينما قد يفهم الإنسان بعقله القاصر العاثر أنّ الإبتداء بالسّلام أهم من الردّ عليه فوجوب الإبتداء به أولى من الرّد !! كما إنّ الشّرع قد أمرنا بمسح ظاهر القدم في الوضوء، وقد يتوهّم الإنسان أنّ الأولى مسح باطنها، فهو الذي يحتاج إلى التنظيف بحسب العادة !! ولكنّ التشريع أتى بخلاف ذلك.

مع ملاحظة أنّ التفضيل غير ناظر لحيثيّة الوجوب والندب، بل هو من حيثيّة الثواب ومقداره عند الله سبحانه، وأيّ عيب في إعطاء المولى على المستحب أضعاف ما يعطي على الفرض.. وفي بعض الأخبار يعد على مستحب

(١) راجع كامل الزيارات ص (١٢٦ - ١٢٧).

من المستحبّات أضعاف ما يعده على بعض الواجبات، فقد جاء في فضل قضاء حوائج الإخوان ـ مثلاً ـ ما يفضّله على أهم الواجبات، خلافاً للقياس العقلي المحض.. فروي عنهم عليهم السلام: من قضى لمؤمن حاجة كان أفضل من صيامه واعتكافه في المسجد الحرام(١).

وفي ثواب الأعمال، عن إسحاق بن عمار، قال أبو عبد الله عليه السلام: يا إسحاق من طاف بهذا البيت طوافاً واحداً كتب الله له ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة، وغرس له ألف شجرة في الجنة، وكتب له ثواب عتق ألف نسمة، حتى إذا صار إلى الملتزم فتح الله له ثمانية أبواب الجنة، يقال له ادخل من أيّها شئت !! فقلت: جعلت فداك، هذا كله لمن طاف !! قال: نعم، أ فلا أخبرك بما هو أفضل من هذا !! قلت: بلى. قال: من قضى لأخيه المؤمن حاجة كتب الله له طوافاً وطوافاً حتى بلغ عشراً(٢).

ومسلّم عندنا عدم قبول الأعمال إلاّ بولاية أهل البيت عليهم السلام، والولاية أفضل من جميع الأعمال وهي شرط قبولها، وقال تعالى: ﴿**وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ، وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ**﴾.

والكلام في العقوبات مثل الكلام في المثوبات، فقد لا يتعقّل أن تكون الغيبة أشدّ من الزّنا، والحال أن النص ورد به !! وقد لا يُعقل أن عقوق الوالدين مساوغ

(١) راجع بحار الأنوار (٧١/٢٣٢).

(٢) راجع بحار الأنوار (٩٦/٣٠٢).

للشرك بالله العظيم، والحال أن النص ورد به !!

ودلّ النصّ على ترتّب أعظم الثواب على البكاء، والإبكاء، والتباكي، وإنشاد الشعر والمراثي واستماعها، والزيارة. وبينها الصّحاح والموثّقات والمتواترة إجمالاً، ولا يمكن التردّد أو الشك في صدورها عن النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام.

شعائر الزيارة

ترتبط بشعيرة الزيارة مجموعة مهمّة من الشعائر المحبّبة إلى أهل البيت عليهم السلام، فإنّ تحريك أجواء كربلاء المقدّسة بالوفود على الحسين عليه السلام في حدّ ذاته شعيرة مستحبّة، وكذلك الزّيارة بالمأثور ومراعاة الآداب والإغتسال بالفرات والمشي بسكون ووقار والتسبيح وذكر الله تعالى والدّعاء والصلوات، ورغّبوا في إحياء جميع شعائر الحزن المرتبطة بالإمام الحسين عليه السلام.

وأقرّ أهل البيت عليهم السلام العادات التي درج عليها الشيعة في كربلاء المقدّسة منذ قديم الزّمان، كالرّثاء والندبة وتوزيع الأطعمة والأشربة، فقد روى ابن قولويه بسنده إلى أبي عبد الله عليه السلام: بلغني أن قوماً يأتونه من نواحي الكوفة، وناساً من غيرهم، ونساءً يندبنه، وذلك في النصف من شعبان، فمن بين قاريء يقرأ و قاص يقص، ونادب يندب، وقائل يقول المراثي. فقلت: نعم جعلت فداك، قد شهدت بعض ما تصف. فقال: الحمد لله الذي جعل في الناس من يفد إلينا ويمدحنا ويرثي لنا، وجعل عدوّنا من يطعن عليهم من

قرابتنا وغيرهم، يهدّدونهم ويقبّحون ما يصنعون[١].

شعيرة المشي للزيارة

ومن الشعائر التي درج عليها الشيعة وتوارثوها المشي إلى زيارة الحسين عليه السلام في المواقيت المستحبّة وغيرها، وعادة ما تنطلق مواكب المشي من مختلف مناطق العراق سيراً على الأقدام، وهذه الظّاهرة معروفة في العراق ويسمّونها " بياده " بالباء الفارسية المكسورة، وهي لفظة فارسيّة تعني المشي.. وهم يحملون الرّايات السّوداء، وتستقبلهم المضايف في طريقهم لتقديم الطّعام والشّراب والعون.

وتجدر الإشارة أنّ أوّل مشى لقبر الإمام الحسين عليه السلام هو الصحابي الجليل جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله عند زيارته في يوم الأربعين، ففي بشارة المصطفى بالإسناد إلى عطية العوفي قال: خرجت مع جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله زائرين قبر الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فلما وردنا كربلاء دنا جابر من شاطيء الفرات فاغتسل ثم ائتزر بإزار وارتدى بآخر، ثم فتح صرة فيها سعد فنثرها على بدنه، ثم لم يخط خطوة إلا ذكر الله.

حتى إذا دنا من القبر قال: ألمسنيه، فألمسته. فخرّ على القبر مغشيا عليه، فرششت عليه شيئا من الماء، فأفاق ثم قال: يا حسين ثلاثا، ثم قال: حبيب لا يجيب حبيبه، ثم قال: وأنى لك بالجواب وقد شحطت أوداجك على أثباجك، وفرق بين بدنك ورأسك، فأشهد أنك ابن النبيين، وابن سيد المؤمنين، وابن حليف التقوى، وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيد النقباء،

---

(١) كامل الزيارات ص (٣٢٥)، وقد مرّ الخبر بمصادره.

وابن فاطمة سيدة النساء، وما لك لا تكون هكذا وقد غذتك كف سيد المرسلين، وربيت في حجر المتقين، ورضعت من ثدي الإيمان، و فطمت بالإسلام، فطبت حيا وطبت ميتا، غير أن قلوب المؤمنين غير طيبة لفراقك ولا شاكة في الخيرة لك، فعليك سلام الله ورضوانه، وأشهد أنك مضيت على ما مضى عليه أخوك يحيى بن زكريا.

ثم جال ببصره حول القبر وقال: السلام عليكم أيها الأرواح التي حلت بفناء الحسين وأناخت برحله، أشهد أنكم أقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة، وأمرتم بالمعروف ونهيتم عن المنكر، وجاهدتم الملحدين، وعبدتم الله حتى أتاكم اليقين.

ثم قال: " والذي بعث محمّداً بالحق، لقد شاركناكم فيما دخلتم فيه ".

قال عطية: فقلت لجابر: وكيف؟ ولم نهبط واديا، ولم نعل جبلا، ولم نضرب بسيف، والقوم قد فرق بين رؤوسهم وأبدانهم، وأوتمت أولادهم، وأرملت الأزواج !! فقال لي: يا عطية " سمعت حبيبي رسول الله ﷺ يقول: من أحب قوما حشر معهم، ومن أحب عمل قوم أشرك في عملهم، والذي بعث محمدا بالحق نبيا، إن نيتي ونية أصحابي على ما مضى عليه الحسين وأصحابه ".

ثم قال: خذوا بي نحو أبيات كوفان فلما صرنا في بعض الطريق فقال لي: يا عطية " هل أوصيك !! وما أظن أنني بعد هذه السفرة ملاقيك، أحب محب آل محمد ما أحبّهم، وأبغض مبغض آل محمد ما أبغضهم وإن كان صواما قواما، وارفق بمحب آل محمد، فإنه إن تزل لهم قدم بكثرة ذنوبهم ثبتت لهم أخرى

بمحبتهم، فإن محبهم يعود إلى الجنة ومبغضهم يعود إلى النار "[١].

وروى بسنده إلى أبي الصامت قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من أتى قبر الحسين عليه السلام ماشياً كتب الله له بكل خطوة ألف حسنة، ومحا عنه ألف سيئة، ورفع له ألف درجة، فإذا أتيت الفرات فاغتسل وعلّق نعليك، وامش حافياً، وامش مشي العبد الذليل، فإذا أتيت باب الحائر فكبّر أربعاً، ثم امش قليلاً، ثم كبّر أربعاً، ثم ائت رأسه فقف عليه فكبّر أربعاً، وصل أربعاً واسأل الله حاجتك.

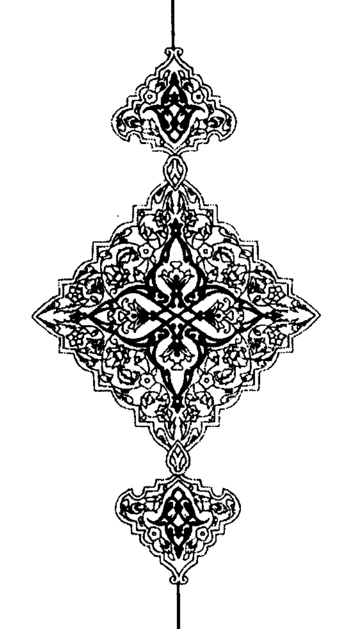
وروى بسنده إلى علي بن ميمون الصائغ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا علي زر الحسين ولا تدعه، قلت: ما لمن أتاه من الثواب ؟ قال: من أتاه ماشياً كتب الله له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة ورفع له درجة، فإذا أتاه وكّل الله به ملكين يكتبان ما خرج من فيه من خير، ولا يكتبان ما يخرج من فيه من شر، ولا غير ذلك، فإذا انصرف ودّعوه وقالوا: يا وليّ الله مغفوراً لك، أنت من حزب الله وحزب رسوله وحزب أهل بيت رسوله، والله لا ترى النار بعينك أبداً ولا تراك ولا تطعمك أبداً.

وروى بسنده إلى أبي سعيد القاضي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من أتى قبر الحسين عليه السلام ماشياً كَتب الله له بكل خطوة وبكل قدم يرفعها ويضعها عتق رقبة من ولد إسماعيل، ومن أتاه بسفينة فكفَت بهم سفينتهم نادى مناد من السماء: طبتم وطابت لكم الجنة.

---

(١) راجع بحار الأنوار (٩٨/٩٥) عن بشارة المصطفى.

أخيرا
شعائر الجزع



شعائر الجزع

منذ أن استشهد الإمام الحسين عليه السلام والشيعة مصابون بجرح غائر في أعماق الضمائر، ولو أتيح لهم المجال لكانت أصداء أحزانهم النفسيّة لائحة على سلوكهم الشعائري بصورة أكبر، فهم متمرّدون على الكبت، وفي تمرّدهم تكمن قوّة الشّعائر الحسينيّة، فقد فضّلوا السّير على الدّرب الشّائك في سبيل الإبقاء على الحزن، وملكوا إرادتهم العملاقة ليعبّروا عن تألّمهم العميق لمصرع الإمام الحسين عليه السلام من خلال هذه الشّعائر !!

لقد أطلق الشّيعة العنان لأحزانهم بقوّة وعزم، ورقت همّتهم على الزّمان والمكان، ولم يهتمّوا لهمس السّفهاء من الأقربين والأبعدين، فجابوا الأرض بأحزانهم، وبلغ بفضلهم صوت الإمام الحسين عليه السلام للقاصي والدّاني، واعتمد كلّ فرد على إبداعه في نشر الظّلامة، وسخّر كلّ شعب تراثه وفنّه ومظاهر بيئته لإشعال أوار الحزن والإبقاء على وقدة الحزن الملتهبة.

علماً بإنّ تعاليم الأئمة عليهم السلام لم تركّز على كيفيّة خاصّة للحزن، وكلّ المظاهر مندرجة تحت عناوين " الحزن " و " البكاء " و " الإبكاء " و " إحياء الذكر " و " إحياء الأمر " ، ففتحت النصوص باب العمومات على مصراعيه لتطبيق العناوين على مصاديقها، ويمكن من خلال ذلك توظيف كل ما من شأنه أن يدخل تحت هذه العناوين فيكون من ضمن الشّعائر الحسينيّة، والرّقيب الأمين عليها في زمان

غيبة حجّة الله الأعظم عليه السلام مراجع الدّين الأمناء.

ولا شكّ في أنّ مختلف أنواع التألّم مستحب في مصيبة الإمام الحسين عليه السلام، وأوردت الأخبار على ألفاظ عدّة تؤدّي هذا المؤدّى وجاوزت الخمسين مفردة، كاللطم واللدم المرويّان عن السيّدة زينب عليها السلام. والهلع المروي عن الإمام السجّاد عليه السلام. والهلع والقلق المرويّان في حديث أمّ أيمن رضي الله عنها. وبكاء الدم المروي عن الإمام المهدي عليه السلام. والجزع المروي في إخبار النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم الزّهراء عليها السلام بمصرع الحسين عليه السلام ومواضع أخرى متعدّدة.

وتوالت النّصوص الواردة عن أهل البيت عليهم السلام مؤكّدة تحقّق الجزع من بعض الأنبياء عليهم السلام وفيهم نبيّنا الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم وكذا الأئمة الطاهرين عليهم السلام والصدّيقة الزّهراء عليها السلام وأسرة الإمام الحسين عليه السلام والبيت العلوي، وورد التأكيد - مع كلّ ذلك - على استحبابه في مصيبة الإمام الحسين عليه السلام.

الجزع في اللغة والروايات

الجزع هو نقيض الصّبر، وقال المحقق الطوسي رحمه الله أنّ الصبر حبس النفس عن الجزع عند المكروه، وهو يمنع الباطن عن الإضطراب واللسان عن الشكاية والأعضاء عن الحركات غير المعتادة[1].

وقال الراغب الإصفهاني: الصّبر الإمساك في ضيق، يقال: صبرت الدابة

---

(١) راجع بحار الأنوار (٦٨/ ٦٨).

حبستها بلا علف وصبرت فلانا حلفته حلفة لا خروج له منها، والصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل أو الشرع أو عما يقتضيان حبسها عنه، فالصبر لفظ عام، وربّما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبة سمي صبراً لا غير، ويضادّه الجزع[١].

وروي في جامع الأخبار أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: الجزع عند البلاء تمام المحنة[٢]. وروي في التمحيص بسنده إلى ابن عميرة أنّ الإمام الصّادق عليه السلام قال: اتقوا الله واصبروا، فإنه من لم يصبر أهلكه الجزع، وإنما هلاكه في الجزع أنه إذا جزع لم يؤجر[٣]. وروي في دعوات الراوندي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: الجزع أتعب من الصبر[٤].

ويمكننا بعد ذلك أن نقول أنّ الدّين الذي أمرنا بالصّبر ونهى عن الجزع عند المصيبة أمر بالجزع على مصيبة الحسين عليه السلام خاصّة، فإذا كان الصّبر هو حبس النفس عن الجزع، فإنّ الجزع نقيض الصبر، بكلّ مظاهره وشئونه، ووردت في بعض النصوص لفظة " الهلع " في قول الإمام زين العابدين عليه السلام: " كيف لا أجزع ولا أهلع !! " والهلع أفحش الجزع !!

ويدخل تحت مفهوم الجزع على الإمام الحسين عليه السلام الكثير من الشّعائر الحسينيّة، فكلّ مظهر خالف الصبر فهو جزع، ودوام الحزن وتجديد المأتم سنويّاً

---

(١) راجع بحار الأنوار (٦٨/٦٨).

(٢) راجع بحار الأنوار (٦٤/٢٣٥).

(٣) راجع بحار الأنوار (٦٨/٩٥).

(٤) راجع بحار الأنوار (٧٩/١٣١).

من الجزع قطعاً، وبهذا المفهوم فإنّ كلّ الشّعائر الحسينيّة داخلة في مفهوم الجزع.

وروي في مسكّن الفؤاد مسنداً عن جابر عن الإمام الباقر عليه السلام قال: أشدّ الجزع الصّراخ بالويل والعويل ولطم الوجه والصدر وجزّ الشعر، ومن أقام النواحة فقد ترك الصبر وأخذ في غير طريقه، ومن صبر واسترجع وحمد الله جل ذكره فقد رضي بما صنع الله، ووقع أجره على الله عزّ وجل، ومن لم يفعل ذلك جرى عليه القضاء وهو ذميم وأحبط الله أجره[١].

إلاّ أن هذا النهي لا يشمل مظاهر الحزن على الإمام الحسين عليه السلام، فالجزع عليه بكل مظاهره مستحب والإنسان فيه مأجور !!

١. وروي بأسانيد عدّة عن أئمة الهدى عليهم السلام أنهم قالوا: " كل الجزع والبكاء مكروه، سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه السلام "[٢].

٢. وروي عن معاوية بن وهب في حديث: أنه عليه السلام قال الإمام الصّادق عليه السلام لشيخ: أين أنت عن قبر جدي المظلوم الحسين عليه السلام ؟ قال: إني لقريب منه. قال: كيف إتيانك له ؟ قال: إني لآتيه وأكثر، قال عليه السلام: ذاك دم يطلب الله به، ثم قال: " كل الجزع والبكاء مكروه، ما خلا الجزع والبكاء لقتل الحسين عليه السلام "[٣].

٣. وفي خبر مسمع عن الصادق عليه السلام: " أما إنك من الذين يعدّون من أهل الجزع لنا "[٤].

---

(١) راجع بحار الأنوار (٨٩/٧٩).

(٢) أمالي الصدوق (١٦٢/١) عن معاوية بن وهب عن الصادق عليه السلام.

(٣) راجع وسائل الشيعة للحرّ العاملي (٣٩٥/١٠) عن الشيخ أيضاً.

(٤) راجع كامل الزيارات ص (١٠١).

٤. وروى الشيخ رحمه الله مسنداً عن أبي جعفر عليه السلام فيمن يزور الحسين عليه السلام عن بعد في يوم عاشوراء: " ويقيم في داره المصيبة بإظهار الجزع عليه "(١).

٥. وروى ابن قولويه بإسناده إلى الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه عن أبي عبد الله الصّادق عليه السلام أنّه قال: " إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع، ما خلا البكاء على الحسين بن علي عليه السلام فإنه فيه مأجور "(٢).

وهذه الأخبار من أهم الأصول المحكّمة في باب الشّعائر الحسينية، وتشكّل القاعدة التي تأسّست عليها جملة من الشّعائر، وفيها التنديد بكلّ أنواع الجزع، ومدح الصّبر، ومنع من مجاوزته بالأقوال والأفعال، ويُستثنى الجزع بكلّ مظاهره على الإمام الحسين عليه السلام، ويترقّى إلى الإستحباب واستحقاق الثواب.

وإذا ندب الشّرع إلى الجزع فإنّه ندب ما لا ينفكّ عنه من المظاهر، كالصّرخة وشقّ الجيب واللطم والإدماء !!

الصرخة

الصّرخة هي الصوت الذي يصدره المتألّم، والتعبير الإنساني الطبيعي للتوجّع من شيء أصابه الصّارخ، كما أنّ هدوء المصاب من الصّبر على مصيبته، إلاّ أنّ الصّرخة خلاف الصّبر والتحمّل والإنطواء، فهي من مصاديق الجزع، وهي من مقتضيات مجالس العزاء ومآتم النّدبة والرّثاء التي أمر أهل البيت عليهم السلام إقامتها إحياءً لذكرى الإمام الحسين عليه السلام ونشراً لتوجّع النّفس عليه.

---

(١) راجع رواية الشيخ رحمه الله في المصباح ص (٧١٤).

(٢) راجع كامل الزيارات ص (١٠٠)، وبحار الأنوار (٤٤/٢٩١)، ووسائل الشيعة (١٤/٥٠٧).

وتوارث الشّيعة في مجالسهم ومواكبهم الصّرخة والضجّة والندبة على الإمام الحسين عليه السلام وكانت من مظاهر جزعهم عليه.

وروي في دعاء الإمام الصّادق عليه السلام لزوّار الحسين عليه السلام قوله: " وارحم تلك الخدود التي تتقلب على حضرة أبي عبد الله الحسين عليه السلام وارحم تلك الأعين التي جرت دموعها رحمة لنا، وارحم تلك القلوب التي جزعت واحترقت لنا، وارحم تلك الصرخة التي كانت لنا "(١).

وروي في إقبال الأعمال ضمن دعاء النّدبة: " فعلى الأطايب من أهل بيت محمد وعلي (صلى الله عليهما وآلهما) فليبك الباكون، وإيّاهم فليندب النادبون، ولمثلهم فلتذرف الدّموع، وليصرخ الصّارخون، ويضجّ الضاجّون، ويعج العاجون "(٢).

شق الجيب

الحقّ أنّ شقّ الجيب من ردود الفعل العفويّة تجاه المصائب إذا ألحّت بالتأثير على صاحبها، وقد صدر من أهل العصمة عليهم السلام كما في الأثر، وهو من مصاديق الجزع المندوب على مصاب الإمام الحسين عليه السلام، فهو خلاف الصّبر، والأولى أن تُشقّ القلوب بدل الجيوب على رزئه العظيم.

وروي في رجال الكشي بعدّة أسانيد أنّه خرج أبو محمد العسكري عليه السلام في

---

(١) راجع كامل الزيارات ص (١١٦)، وبحار الأنوار (٩٨/٨)، وبحار الأنوار (٩٨/٥٢)، وثواب الأعمال ص (٩٥).

(٢) راجع إقبال الأعمال ص (٢٩٧)، وعنه بحار الأنوار (٩٩/١٠٦).

جنازة أبي الحسن الهادي عليه السلام وقميصه مشقوق، فكتب إليه أبو عون الأبرش: من رأيت أو بلغك من الأئمة شقّ ثوبه في مثل هذا؟ فكتب إليه أبو محمد عليه السلام: يا أحمق وما يدريك ما هذا!! قد شقّ موسى على هارون عليه السلام[1].

وقد صدر شقّ الجيب عن نساء أهل البيت عليهم السلام، ولا شكّ في أنّ أفعالهنّ حجّة لحضور الإمام زين العابدين عليه السلام الذي أقرّهنّ ولم ينكر عليهنّ ذلك، ولأنّه لا يُعقل صدور الفعل المحرّم منهنّ وهنّ ربائب النبوّة والإمامة مهما جلّت المصيبة، وكنّ محل اعتماد الإمام الحسين عليه السلام، فاقتضى كونهنّ في أعلى درجات الدقّة الشّرعية في الأفعال والأقوال.

فإذا كان كذلك فقد روى الشيخ المفيد رحمه الله عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنّه قال: إني جالس في تلك الليلة التي قتل أبي في صبيحتها وعندي عمّتي زينب تمرّضني، إذا اعتزل أبي في خباء له وعنده فلان مولى أبي ذر الغفاري وهو يعالج سيفه ويصلحه وأبي يقول:

يا دهر أف لك من خليل	كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب وطالب قتيل	والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل	وكل حي سالك سبيل

إلى أن قال عليه السلام: وأما عمّتي فلمّا سمعت ما سمعت. فقالت يا ويلتاه أ فتغتصب نفسك اغتصابا فذلك أقرح لقلبي وأشد على نفسي، ثم لطمت وجهها

(١) راجع رجال الكشي ص (٥٧٢)، ووسائل الشيعة (٣/٢٧٤)، وبحار الأنوار (٥٠/١٩١) و (٧٩/٨٥)، وكشف الغمة (٢/٤١٨)، والمناقب (٤/٤٣٥).

وهوت إلى جيبها وشقّته وخرت مغشيّة عليها [١].

وروي في اللهوف أنّ السيّدة زينب لّما رأت يزيداً ينكت ثنايا الحسين عليه السلام أهوت إلى جيبها فشقّته [٢].

وجاء النصّ بإباحة شقّ الجيب مطلقاً، إذ لم يعدّه الإمام عليه السلام من الجزع المنهي عنه في سائر المصائب، مستدلاً بفعل نساء الحسين عليه السلام، وهذا دليل واضح على حجيّة فعلهنّ، في رواية صحيحة السند، رواها الشيخ رحمه الله في التهذيب بسنده إلى حيان بن سدير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رجل شق ثوبه على أخيه أو على أمّه أو على أخته أو على قريب له؟ فقال: لا بأس بشق الجيوب، فقد شق موسى بن عمران عليه السلام جيبه على أخيه هارون، ولا يشق الوالد على ولده، ولا زوج على امرأته، وتشق المرأة على زوجها.

إلى أن قال: ولقد شققن ولطمن الفاطميات على فقد الحسين بن علي عليه السلام، وعلى مثله تُلطم الخدود وتُشق الجيوب [٣].

النياحة

التناوح في اللغة هو التقابل، ومنه سميت النوائح، لأن بعضهن يقابلُ بعضاً في المأتم، والإسم النياحة.

---

(١) راجع الإرشاد (٢/٩٣)، وعنه بحار الأنوار.

(٢) راجع اللهوف ص (٨٣)، وبحار الأنوار (٤٥/١٣٢)، ومثير الأحزان ص (١٠٠).

(٣) راجع تهذيب الأحكام (٨/٣٢٥)، ووسائل الشيعة (٢٢/٤٠٢)، وعوالي اللآلي (٣/٤٠٩).

وفي مجمع البحرين: في حديث خديجة، قالت: سمعت عمي محمد بن علي عليه السلام يقول: " إنما تحتاج المرأة في المأتم إلى النوح لتسيل دمعتها، فلا ينبغي أن تقول هجراً " يعني باطلا، وفيه إذن به مالم تهجر، ويؤيده ما روي أنه سُئل عن أجر النائحة فقال: لا بأس[1].

وظاهر الأخبار جواز الغناء في النياحة إن لم يتضمّن قول الباطل، وروي في عوالي اللآلي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه نهى عن الغناء وعن شراء المغنيات وقال إن أجورهن من السحت، ولم يجوز الغناء إلاّ في النياحة إذا لم تقل باطلاً، وفي حداء الزمل، وفي الأعراس إذا لم يسمعها الرجال الأجانب ولم تغنّ بباطل[2].

أمّا اليوم فالنّياحة إحدى عوامل البكاء، ولا شّك في كونها من مظاهر الجزع ومصاديقه عليه، وهو حيلة الحزين والحزينة إذا استبدّ بقلبهما المصاب والألم.

فقد روي في كامل الزيارات بسنده إلى جابر عن الإمام محمد بن عليْ عليه السلام أنّه قال: لما همّ الحسين عليه السلام بالشخوص إلى المدينة أقبلت نساء بني عبد المطلب فاجتمعن للنياحة حتى مشى فيهن الحسين عليه السلام فقال: أنشدكن الله أن تبدين هذا الأمر معصية لله ولرسوله، قالت له نساء بني عبد المطلب: فلمن نستبقي النياحة والبكاء، فهو عندنا كيوم مات رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة ورقية وزينب وأم كلثوم!![3]

---

(١) راجع مجمع البحرين باب (نوح).

(٢) راجع عوالي اللآلي (١/٢٦١).

(٣) راجع كامل الزيارات ص (٩٦)، وبحار الأنوار (٤٥/٨٨).

وقال الشيخ الكفعمي في المصباح: " أما يليق هذا الرزء العظيم أن تذهب عليه الأحلام. أما يجب أن تشقق عليه القلوب فضلاً عن الجيوب من عدة الآلام، فأقيموا رحمكم الله المآتم والأحزان، والبسوا على هذا المصاب جلابيب النياحة والإمتحان !!"[١]

اللطم

إذا رزح الإنسان تحت وطأة المصيبة لم يكن له سبيل إلى نشرها إلاّ التعبير المناسب لمستوى مصيبته، فإذا عظمت فإنّها لا تزول بالتعبير اللفظي والبكاء، واحتاج الإنسان في نفثها إلى السلوكيّات الإنسانيّة العفويّة في حالة الجزع.

ومن حقّ هؤلاء الذين لم يعرفوا الحسين عليه السلام ولم يشربوا من كأس محبّته ولم يحزنوا في مصيبته أن يتعجّبون من مظاهر الشّيعة في أحزانهم عليه، فإنّ حبّهم المتجذّر في النفوس دفعهم إلى لطم الصّدور والوجوه والرؤوس في المآتم.

واللطم في اللغة هو الضرب على الوجه بباطن الراحة، وهو تعبير عفوي عندما تستبدّ مصيبة بالإنسان، وعمّ مظهر اللطم حتّى الحور العين في الجنّة، إذ ورد هذا المعنى في زيارة مولانا صاحب العصر عليه السلام في زيارة جدّه الحسين عليه السلام إذ يقول: " وأقيمت لك المأتم في أعلى عليين، ولطمت عليك الحور العين "[٢].

وفي المقتل: أنّ نساء أهل بيت الحسين عليه السلام قد سبقن الحادثة باللطم توقّعاً

(١) راجع مصباح الكفعمي ص (٧٣).

(٢) راجع بحار الأنوار (٣٢٢/٩٨).

لها، ففي اللهوف أنّه عليه السلام لما خطب إحدى خطبه، فسمعت بناته وأخته زينب عليها السلام كلامه فبكين وندبن ولطمن وارتفعت أصواتهن، فوجّه إليهن أخاه العباس وعليّا ابنه وقال لهما: سكّتاهن فلعمري ليكثرن بكاءهن!![1]

وفي اللهوف: لما نظر النسوة إلى القتلى صحن وضربن وجوههن[2].

شعيرة الإدماء

واضحٌ أنّ الإدماء هو أتمّ مصاديق الجزع، ويتحقّق الإدماء بشدّة اللطم وخروج الدّم، أو بضرب السّلاسل على البدن أو جرح الرؤوس بالسّيوف ونحو ذلك، وربيع الإدماء يوم عاشوراء، ومناسبة إهراق الدّم في هذا اليوم واضحة، إذ تُسال مواساة لدم الحسين عليه السلام الأطهر.

والذين يدمون أبدانهم في يوم عاشوراء يوجّهون البيعة له عليه السلام بالفداء والتضحية، وكأنّهم يقولون له عمليّاً: " إن كان لم يجبك بدني عند استغاثتك، ولساني عند استنصارك، فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري " وتبلغ رغبتهم بنصرته درجة الإنصهار في آلامه، ويصلون إلى ذروة الإندكاك في جراحاته فيذبحون أناهم وشعورهم، وتشخص أمام أعينهم صورته عليه السلام فوّارة بالنزيف، فيذوبون في أشجانها ويندكّون في جراحاتها، ولسانهم يردّد بحماسة الشّهداء:

إنّا جنودك يا حسين وهذه ... أسيافنا ودماؤنا الحمراءُ

(١) راجع اللهوف ص (٨٧).

(٢) اللهوف ص (١٣٠).

إن فاتنا يوم الطفوف فهذه أرواحنا لك يا حسين فداءُ[(١)]

وينطلق الإدماء قبل كلّ شيء من مبدأ المواساة لأهل البيت عليهم السلام في دمائهم التي سفكت يوم عاشوراء، فدماء المحبّين تسيل موافقة لتلك الدّماء.

إنّ الإدماء صاحب مراسم العزاء منذ عهد قريب، وأرجعه البعض إلى حركة التوّابين، وهي دعوى تفقد المستند التاريخي، سوى ما يردّده البعض من أنّ التوّابين جرّهم ندمهم إلى جلد الذّات والإنتقام من أنفسهم بأيّ صورة مهما كانت قاسية !! وهذه صورة تشوّه حركة التوّابين وتتجنّى على الحقيقة، فإنّ فكرهم وإن كان يلتقي ذوقاً مع شعيرة الإدماء إلاّ أنّ الجزم بالصّلة يفتقر إلى الحجّة، ولم يدوّن تاريخنا هذه المراسم إلاّ مؤخّراً، ولو كانت لبانت.

وقيل بأنّ الإدماء وافد على شيعة العرب، ولم تُعرف مراسمه في البلاد العربية إلاّ في القرن التاسع عشر الميلادي، وتشير بعض المصادر إلى وجود هذه المراسم في بعض أنحاء القوقاز الجنوبي منذ عام (١٦٤٠) م.

وقال البعض أنّ الظاهرة ترجع إلى روسيا أيام القياصرة، وقد قام رجلٌ إيراني بنقلها إلى الشيعة حين دُهش من طريقة التعبير عن الحزن لدى بلاد الرّوس، ومن فارس انتقلت إلى سائر البقاع العربيّة.

ولعلّ أنسب الرّوايات تلك التي تعزو الظّاهرة إلى رجلٍ فارسيٍّ من أصل تركي اسمه السيد محمد الرضوي التبريزي وعُرف بالحاج بكتاش، وكان داعية

---

(١) هذان البيتان للشهيد الآية السيّد حسن الشّيرازي رحمه الله.

للإصلاح في بلاد الأتراك، والرواية مفصّلة[١].

ولا يهمّ الأخذ والردّ في تاريخ الإدماء بعد ثبوت اتصاله بالشّعائر التي عُرف بها الشيعة أيّام المحرّم، ولا يضرّه أن يُنسب إلى التوّابين أو غيرهم بعد ورود أصله في مرسلة الجصّاص كما في بحار الأنوار.

قال المجلسي رحمه الله: رأيت في بعض الكتب المعتبرة روي مرسلاً عن مسلم الجصّاص الذي يروي مشاهداته فيقول: .. وإذا أنا بالزعقات قد ارتفعت من جنبات الكوفة، فأقبلت على خادم كان معنا فقلت: ما لي أرى الكوفة تضج !! قال: الساعة أتوا برأس خارجي خرج على يزيد، فقلت: من هذا الخارجي ؟ فقال: الحسين بن علي عليه السلام .. فبينما أنا واقف والناس يتوقعون وصول السبايا والرؤوس إذ قد أقبلت نحو أربعين شقة تحمل على أربعين جملاً فيها الحرم والنساء وأولاد فاطمة عليها السلام وإذا بعلي بن الحسين عليه السلام على بعير بغير وطاء، وأوداجه تشخب دماً..

ثم إن أم كلثوم أطلعت رأسها من المحمل وقالت لهم: صه يا أهل الكوفة، تقتلنا رجالكم وتبكينا نساؤكم، فالحاكم بيننا وبينكم الله يوم فصل القضاء، فبينما هي تخاطبهنّ إذا بضجة قد ارتفعت، فإذا هم أتوا بالرؤوس يقدمهم رأس الحسين عليه السلام وهو رأس زهري قمري أشبه الخلق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولحيته كسواد السبج، قد انتصل منها الخضاب، ووجهه دارة قمر طالع، والرمح تلعب بها يميناً وشمالاً.

---

(١) راجع كتابنا المصيبة الراتبة للوقوف على تفصيل القصّة.

فالتفتت زينب عليها السلام فرأت رأس أخيها، فنطحت جبينها بمقدم المحمل حتى رأينا الدم يخرج من تحت قناعها، وأومأت إليه بحرقة وجعلت تقول:

يا هلالاً لما استتم كمالا غاله خسفه فأبدا غروبا

ما توهّمت يا شقيق فؤادي كان هذا مقدرا مكتوبا[1]

ورواها المحدّث البحراني رحمه الله في عوالم العلوم أيضاً، وقد صحّحه العلاّمة شيخ الشّريعة رحمه الله، فقال: إنّه لا استبعاد فيه إلاّ من جهة ظهور الجزع منها وإيلام نفسها، والإيلام الغير المؤدّي إلى الهلاك لا دليل على عدم جوازه، والجزع مندوبٌ إليه ومرغّب فيه في كثير من الأخبار[2].

وظاهر فتاوى كثير من العلماء الإعتماد على هذا الخبر المرسل في جواز الإدماء، وأفتى عامّة الفقهاء برجحانه واستحبابه لكونه أجلى مصاديق الجزع على الإمام الحسين عليه السلام عملاً بهذه الرّواية[3].

---

(١) راجع بحار الأنوار (٤٥/١١٤)، وقد روي في العوالم. وقد أوردتها مختصراً.

(٢) راجع نصرة المظلوم للعلاّمة الشيخ حسن المظفّر ص (٦٨).

(٣) وعلّق المرجع المعاصر الآية السيّد محمّد صادق الرّوحاني (حفظه الله) على هذه الرّواية بقوله: " وأما ضرب السيدة زينب عليها السلام لرأسها بمقدمة المحمل، فبما أن زينب قد حازت من الصفات الحميدة ما لم يحزها بعد أمها أحد حتى حقّ أن يقال هي الصديقة الصغرى، هي في الحجاب والعفاف فريدة، وفي الصبر والثبات والتقوى وقوة الإيمان وحيدة، وفي الفصاحة والبلاغة كأنها تفرغ عن لسان أمير المؤمنين عليه السلام ولو قلنا بعصمتها لم يكن لأحد أن ينكر إن كان عارفاً بأحوالها في الطّف وما بعده، كيف ولولا ذلك لما حمّلها الحسين عليه السلام مقداراً من ثقل الإمامة أيام مرض السجاد عليه السلام، ولما أنابها السجاد عليه السلام نيابة خاصة في بيان الأحكام

فإذا قال العلماء باستحبابه من باب استحباب الجزع فالبرهان واضح، وإمّا إذا كان عملاً بهذه الرواية فقد يُشكل في حجيّة عمل السيدة زينب عليها السلام، إلاّ أنّه يندفع إشكالهم بكون نطح جبينها كان بحضور الإمام زين العابدين عليه السلام الذي أقرّها ولم ينكر عليها ذلك، وبعدم إمكان صدور الفعل المحرّم منها عليها السلام وهي العالمة غير المعلَّمة، وربيبة النبوّة والإمامة، وهي الصدّيقة الصغرى، وكان الحسين عليه السلام قد عوّل عليها في إكمال مسيرته فاقتضى كونها في أعلى درجات الدقّة الشّرعية في الأفعال والأقوال، وتقدّم الكلام في شرعيّة أفعال أسرة الحسين عليه السلام.

ويقول شيخ الخطابة الحسينيّة الشّيخ هادي الخفاجي الكربلائي رحمه الله:

نشجّ منّا أرؤساً بالمُدى ... لرزءِ سبطِ المصطفى المرسلِ
حلّ لنا من أخته زينبٍ ... مذ رأسها شجّته بالمحمل

ودلّت سيرةُ السّلف الصّالح من علمائنا رحمهم الله على تقديس مواكب الإدماء، وروى آية الله المظفّر رحمه الله شطراً في كتابه "نصرة المظلوم" من سيَر آيات الله وأعلام الطّائفة في هذا المجال، فالمجدّد الشيرازي رحمه الله كان يتبرّع بأكفان مواكب الإدماء من أمواله الخاصّة العائدة إليه من أملاكه في شيراز، ودلّت سيَر بقيّتهم على تأييدها بقوّة، وفتاوى العلماء واضحة ومعروفة ومطبوعة ومتوفّرة، ممّا يغنينا عن عرضها، وكلّها ترجّح وتحضّ على الجزع بكلّ صوره.

→ وجملة أخرى من آثار الولاية، كما في خبر رواه الصدوق في إكمال الدين، والشيخ في كتاب الغيبة مسنداً عن أحمد بن إبراهيم، فنفس فعلها دليل الجواز سيما مع تقرير الإمام السجاد عليه السلام". (الفتوى بتاريخ ٢ جمادى الأولى لعام ١٤٢٣ هـ).

أمّا المعارضون لشعائر الجزع والإدماء فلهم قناعتهم ورأيهم، فإذا كانوا من المقلّدين فالأمر هيّن، إذ يجب على كلّ مكلّف الرّجوع إلى فقيهه المؤتمن الجامع للشّرائط، ولا يجوز التشنيع على المؤمنين الآخرين من مقلّدي فقيه آخر يبيح الإدماء أو يستحبّه، والعكس صحيح.

أمّا إذا عورض خجلاً من استهزاء المبطلين سعياً لنيل مرضاة المخالفين فهي انهزاميّة تأباها منطق الشّعائر وضعف لا يليق بشيعة أمير المؤمنين عليه السلام، وقد قدّمنا تحت عنوان " الشّعائر الحسينيّة " الكلام في إستهزاء المبطلين.

وأمّا إذا عورض لاعتبارات سياسيّة فهذا أمر لا أفهمه، فإنّ الشّعائر الحسينيّة فوق جميع الإعتبارات، وهي الميزان في تقييم الأفراد والجماعات والتيّارات، والأولى الرّجوع فيها للفقهاء، فإن دلّ عنوان ثانوي عارض على الحضر فإنّ ذلك من اختصاص الفقيه الجامع للشرائط دون غيره، ونحن نحترم آراء الجميع.

أمّا استبدال الشّعائر ومسخها بأخرى، من قبيل ما نشاهده من مظاهر التبرّع بالدّم في يوم عاشوراء فإنّه عمل جيّد إلاّ أنّه أجنبي عن الشّعائر الحسينيّة[١].

---

(١) وقد وُجّه سؤال للمرجع الآية الميرزا جواد التبريزي (قدّس الله روحه): هل التبرع بالدم باسم سيد الشهداء عليه السلام داخل في عنوان العزاء ؟ وما هو نظركم حول القيام ببعض الأعمال التي توجب دعوى المخالفين ؟

فأجاب: بسمه تعالى، لا يرتبط التبرّع بالدم بعزاء سيد الشهداء عليه السلام والجزع على مصائبه، ولكن لا يهمّنا دعوى المخالفين فإن تُهَمَهُم لنا كثيرة، ويجب على المؤمنين التحفّظ على الجزع لمقتل سيد الشهداء وأهل بيته وأصحابه عليهم السلام فإن التأمل في هذه القضايا طريق مستقيم إلى الوصول إلى حقيقة مذهب الشيعة حفظهم الله من الشرور وكيد الأعداء، كما حفظهم على

وأمّا إذا عورض لعدم نهوض الأدلّة والحجج الشّرعية فهو وهم وجهل، فالرّجحان هو رأي جملة كبيرة من علمائنا السالفين والمعاصرين، بل صدر عن بعضهم القول بوجوب شعائر الإدماء في يوم عاشوراء، ولم يقل فقيه بحرمته بحسب العنوان الأوّلي أصلاً، ولكلّ دليله ومستنده الشّرعي [١].

نهاية المطاف

وفي نهاية البحث أستوقف القاريء الكريم لأعيد صياغته بقول مختصر، وفذلكة القول أنّ الفقهاء لا يختلفون في إباحة جرح الإنسان نفسه وإخراج دمه بيده، ومع هذا فإنّه يكون واجباً أحياناً، كما لو توقّفت حياة إنسان على إخراجه

←

مدى العصور إلى يومنا هذا، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وبين يدي أكثر من فتوى لبعض المراجع المعاصرين - أيّدهم الله تعالى - تؤكّد أنّ التبرّع بالدّم للمحتاجين أمر حسن، والتطبير في يوم عاشوراء أمر أحسن، لما فيه من مواساة للإمام الحسين عليه السلام والصفوة من أهل بيته وأنصاره عليهم السلام لكونه من مصاديق شعائر الله تعالى التي اعتبر القرآن الكريم تعظيمها من تقوى القلوب، ولكونه من مظاهر الجزع المأمور به في الأحاديث الشريفة المعتبرة على مولانا سيد الشهداء عليه السلام.

ويبدو أنّ المرجع المعاصر الآية السيّد صادق الشيرازي (حفظه الله) اقترح الجمع بين الأمرين، ففي يوم عاشوراء يكون التطبير، وفي يوم ميلاد الإمام الحسين عليه السلام يكون التبرع بالدم، ويبدو أنّه صار إلى هذا الرّأي للتوفيق بين الآراء وجمع الكلمة، فقرنَ الحسين عليه السلام بالدم وليداً وشهيداً، والحقّ أن التبرّع بالدّم لا مبرّر له في عاشوراء، فشعيرة الإدماء تبتني على الحزن والجزع، ومرجع المكلّفين في ذلك إلى المرجع المقلّد.

(١) وقد بسطنا البحث في كتابنا المصيبة الراتبة وفي معالجة أدلّة حرمة الضّرر، فراجع.

في الحجامة، وقد يكون محرّماً في بعض الحالات بطروء العناوين الثانوية عليه، كما لو كان موجباً لضرر يؤدّي إلى مرض أو موت، وهذا كلّ شيء في المقام.

وأبدى الشيعة شعائر الإدماء قصد مواساة سيّد الشهداء عليه السلام وتفجّعاً بمصابه وتلهّفاً على رزاياه، وقصد التشبّه بحالته وأصحابه، والإشتراك معهم في جراحهم، وهو عنوان كافٍ لترقّي العمل إلى أقصى رتب الكمال والشرف.

وقد شرّع أهل البيت عليهم السلام المواساة بالحزن كما في قول الإمام الصادق عليه السلام: " رحم الله شيعتنا، لقد شاركونا بطول الحزن والحسرة " مواساةً لهم في طول حزنهم، وبالإمساك عن الطّعام والشّراب في يوم عاشوراء مواساة لهم في جوعهم وعطشهم، وبالإدماء مواساة لهم في أبدانهم التي أثخنت بالجراح.

وشرّع أهل البيت عليهم السلام مسّ أنواع الأذى فيهم، وروي في اللهوف عن الإمام السجّاد عليه السلام: " أيّما مؤمن مسه أذى فينا، صرف الله عن وجهه الأذى يوم القيامة وآمنه من النار "(١).

وروي أنّ النبي صلى الله عليه وآله لما استوحش من عدم البكاء على عمه حمزة اجتمع نساء الأنصار يبكين على باب المسجد وقد ذهب ثلث الليل، فلما خرج النبي صلى الله عليه وآله ورآهنّ يبكين ويندبن عمه قال لهنّ: " ارجعن رحمكنّ الله، لقد واسيتنّ معي "(٢).

فإذا كان النبي صلى الله عليه وآله يعتبر البكاء من المواساة له، فإنّ الإدماء أولى في صدق

---

(١) اللهوف للسيد ابن طاووس ص (٩).

(٢) راجع مسكّن الفؤاد ص (١٠٨)، وقد تقدّم القول في ذلك.

المواساة له، فهو أظهر مظاهر الجزع على الإطلاق وليس بعده إلاّ تلف النفس والضّرر المحرّم، ولقد واساه الأنبياء عليهم السلام منذ زمن بعيد، و " سالت دماؤهم موافقة لدم الحسين عليه السلام !!"..

وروي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن إسماعيل الذي قال الله عز وجل في كتابه: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتابِ إِسْماعِيلَ إِنَّهُ كانَ صادِقَ الْوَعْدِ وَكانَ رَسُولاً نَبِيًّا﴾ لم يكن إسماعيل بن إبراهيم، بل كان نبيّاً من الأنبياء، بعثه الله عز وجل إلى قومه فأخذوه فسلخوا فروة رأسه ووجهه، فأتاه ملك فقال: إنّ الله جل جلاله بعثني إليك فمُرني بما شئت، فقال: " لي أسوة بما يصنع بالحسين عليه السلام "[1].

أمّا الذين ينهون عن الإدماء بحجّة الضرر فتكفينا كلمة الآية الشّيخ محمّد الحسين آل كاشف الغطاء رحمه الله في دفع وهمهم، فهو يقول: " قد بلغنا من العمر ما يناهز الستين، وفي كل سنة تقام نصب أعيننا تلك المحاشد الدموية، وما رأينا شخصاً مات بها أو تضرر، ولا سمعنا به في الغابرين ".

أمّا إذا تحقّق ضررٌ معتدٌّ فهي حوادث نادرة، ولا يمكن جعل تلك الحوادث مناطاً لحكم أو ملاكاً لقاعدة، فوظيفة الفقهاء هي بيان الأحكام الكلية، ولا يختلف فقيهان على حرمة الإدماء بالنسبة لمن يخاف الضرر على نفسه، ولكنّه لا يحرم على غيره، وليس في أهل هذه الشعيرة من يخاف الضرر على نفسه، فهي راجحة في حقّهم، ومستحبّة لطروء العناوين المتقدّمة.

---

(١) راجع علل الشرايع (١/٧٧)، وبحار الأنوار (١٣/٣٨٨) و(٤٤/٢٤٣)، وكامل الزيارات ص (٦٤)، ووسائل الشيعة (٣/٢٦٥)، وقصص الأنبياء للجزائري ص (٣١١).

وأمّا مسألة رجحان الإدماء في يوم العاشر فإنّها في غاية الوضوح، وعلى ذلك أعيان فقهاء الطّائفة، وإن خالفهم مخالفٌ لطروء بعد العناوين الثانويّة فإنّه أمر راجع إلى تقليد المكلّفين كما تقدّم، وتكفينا فتوى أستاذ الفقهاء والمجتهدين الآية العظمى الشيخ محمد حسين النائيني رحمه الله حجّة في المقام، والتي أعلن كبار مراجع الطائفة تأييدهم لها.. فقد قال رحمه الله: " لا إشكال في جواز اللطم بالأيدي على الخدود والصدور إلى حدّ الاحمرار والإسوداد، بل يقوى جواز الضرب بالسلاسل أيضاً على الأكتاف والظهور إلى الحدّ المذكور، بل وإن تأدّى كل من اللطم والضرب إلى خروج دم يسير على الأقوى، وأما إخراج الدم من الناصية بالسيوف والقامات فالأقوى جواز ما كان ضرره مأموناً، وكان من مجرّد إخراج الدم من الناصية بلا صدمة على عظمها، ولا يتعقب عادة بخروج ما يضر خروجه من الدم ونحو ذلك، كما يعرفه المتدربون العارفون بكيفية الضرب، ولو كان عند الضرب مأموناً ضرره بحسب العادة، ولكن اتفق خروج قدر ما يضر خروجه لم يكن ذلك موجباً لحرمته، ويكون كمن توضأ أو اغتسل أو صام أمناً من ضرره ثم تبيّن ضرره منه "[١].

وأعلن كبار مراجع الطّائفة عن تأييدهم لفتوى أستاذ الفقهاء الشّيخ النائيني رحمه الله، وقال الآية العظمى السيّد محسن الحكيم رحمه الله: " ما سطّره أستاذنا الأعظم في نهاية المتانة وفي غاية الوضوح، بل هو أوضح من أن يحتاج إلى أن يعضد بفتوى الوفاق "، وقال الآية العظمى السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي رحمه الله: " ما أفاده

---

(١) راجع فتاوى الشعائر الحسينية ص (٢١) الطبعة السّادسة، والفتوى طويلة.

شيخنا الأستاذ هو الصحيح "، وقال الآية العظمى الميرزا عبد الهادي الشيرازي ﵀ : " ما ذكره صحيح إن شاء الله تعالى "، وقال الآية العظمى السيّد محمود الشاهرودي ﵀ : " ما حرّر هنا شيخنا العلاّمة هو الحق المحقّق عندنا "(١).

ولم يبتعد فقهاؤنا المعاصرون كثيراً عن فتوى الشيخ النائيني ﵀ ، ومنهم من ترقّى من الإستحباب إلى الوجوب بالجملة، ومنهم الفقيه الآية العظمى السيّد تقي الطباطبائي القمّي (حفظه الله) الذي ذهب إلى الوجوب الكفائي.

فقال : " إقامة العزاء على الإمام الحسين عليه السلام وتشييد المنبر وقصائد الرثاء والنياحة والضرب على الرؤوس والصدور وتأسيس الهيئات الحسينية وتسيير مواكب اللطم وضرب السلاسل ومواكب التّطبير وشدخ الرؤوس بالقامات على ما هو معروف ومتداول اليوم ليس جائزاً فحسب، بل هو جائز ومن الشعائر الدينية والسنّة النبويّة، بل هو واجب كفائي في الجملة في مثل هذه الظروف، وأما ما يثيره بعض المغفّلين ممّا يبعث الترديد وانحراف الأذهان فإنّه ليس بصحيح ونقله والتفوّه به في النّاس حرام "(٢).

ويُنقل أنّ العلاّمة الشيخ عبد الحسين الأميني ﵀ كان يجلس يوم عاشوراء في صحن الإمام الحسين عليه السلام مع بعض علماء السنة ويشاهدون دخول المواكب، فدخل موكب طويريج بعنفه في اللطم، فقال له أحدهم : هذا صحيح يا شيخ

---

(١) راجع فتاوى الشعائر الحسينية ص (٢٥) الطبعة السّادسة.

(٢) راجع فتاوى الشعائر الحسينية ص (١٨٢) الطبعة السّادسة. وهذه هي ترجمة بعض فتواه (دام ظلّه) عن الفارسيّة.

عبد الحسين ؟ فسكت ، ثم بدأت تدخل مواكب الإدماء ، فجن جنون المشايخ السنيين وصاح أحدهم : وهل هذا صحيح يا شيخ عبد الحسين !! فأجابه : نعم وهذا صحيح ، فأنتم بسبب هذه المراسم لم تستطيعوا إنكار شهادة الحسين عليه السلام وأفعال يزيد ، ونحن اشتبهنا حين لم نجعل مراسم مثلها لعيد الغدير حتى لا تستطيعوا إنكاره !![1].

وبعد هذه الجولة ليس أمامنا إلاّ أن ننتهي من حيث بدأنا من وجوب الدّأب على رفع هذا الشّعار المقدّس بإيمان وأمانة ، والمحافظة على جملة الشّعائر الحسينية ، المتصلة كنظام السلسلة ، وعدم التفريط بمظهر من مظاهرها ، والإجتماع تحت لواء الإمام الحسين عليه السلام.

ونسأل الله تعالى أن يمدّنا بتوفيقاته وعناياته لحمل هذه الأمانة العظيمة ، لنكون من شيعة أهل البيت عليهم السلام الذين شاركوهم بطول الحزن والحسرة والمرحومين بهم عليهم السلام ، وأن لا يفرّق بيننا وبينهم في الدّنيا والآخرة ، وصلّى الله وبارك وسلّم على سيّد الخلق محمّد وآله الميامين المطهّرين ، لا سيّما مولانا صاحب الأمر والزّمان أرواحنا له الفداء.

تمّ الكتاب

في يوم شهادة الإمام الصّادق عليه السلام يوم الأربعاء ٢٥ شوّال ١٤٢٥ هـ

وتمّ الفراغ من اختصاره في يوم شهادة الإمام الصّادق عليه السلام أيضاً ..

الثلاثاء ٢٥ شوّال ١٤٢٨ هـ

محمد

---

(١) راجع المجلّد التّاسع من الإنتصار للشّيخ العاملي.

المحتويات